

السنة الأولى (رجب ١٣٥٣ - أكتوبر ١٩٣٤) العدد الثاني

صحيفة دار العلوم

في العلم والأدب والاجتماع

تصدرها « جماعة دار العلوم »

كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف هذه الصحيفة في مدارسها

رئيس التحرير

محمد مصطفى

المدير

أبو الفتح إسماعيل

المراسلات تكون باسم مساعد التحرير

محمد مهدي عياد

المفتش بوزارة المعارف

٧٨ - شارع سليم الأول ، حلمية الزيتون

﴿ الاشتراك السنوي ﴾

غير الطلبة ٢٠ قرشا

١٢

للطلبة

في القطر المصري

٥ شلنات انجليزية

خارج القطر

٥ قروش

ثمان العدد

المطبعة الرحمانية بمصر

شارع الخلفين رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

من مكتب التحرير

بقلم محمد علي مصطفى المفتش بوزارة المعارف
ورئيس تحرير الصحيفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد فقد صدر العدد الأول من « صحيفة دار العلوم » في الصيف الماضي ، وكنا من غير شك نقدر له نجاحاً يلائم من جهة ما نعرفه في القراء الذين نخرج لهم صحيفتنا من حصة في الرأي ، واتزان في التقدير ، ومعاونة في خدمة العلم والأدب ، ويساير من جهة أخرى ما استودعناه ذلك العدد من نيات صالحة ، رجونا أن تكون مقالات الصحيفة ترجماناً صادقاً عنها .

ولكن ما لقيناه من النجاح قد فاق كل ما قدرنا ، ونحن بذلك مغتبطون ، وله شاكرون . ولن يزهينا هذا الفوز فندعي به فخراً لأنفسنا : لأعضاء التحرير ، أو لجماعة دار العلوم ، وإنما هو تقدير رجال العلم والأدب للفكرة السامية التي أخذنا أنفسنا بنصرتها وآلينا أن نبذل في سبيلها كل ما ملكت يميننا ، فكرة العمل على إحياء الأدب العربي ، ونشر الثقافة الحديثة في مصر وفي البلاد العربية .

وحسبنا أن يكون على رأس المقدرين لمجهودنا جلالة وليكننا المفدى ، فقد رفعنا إلى المقام السامي نسختين من الصحيفة : واحدة لجلالة الملك والثانية لأمير الصعيد .

فقلتي رئيس جماعة دار العلوم من حضرة صاحب المعالي كبير الأمناء
الكتاب الآتي :

ديوان كبير الأمناء ٤٠٦

حضرة المحترم الأستاذ أبو الفتح الفقي

رفعت إلى الأنظار العلية الملكية النسختين اللتين قدمتموهما من
العدد الأول من « صحيفة دار العلوم » إلى حضرة صاحب الجلالة الملك
وحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ، فالتا حسن القبول . وإني
أتشرف بإبلاغ ذلك إلى حضرتكم مع الشكر السامي .

وتقبلوا وافر الاحترام كبير الأمناء

تحريرا في ٩ يولييه سنة ١٩٣٤ سعيد ذو الفقار (توقيع)

وإن في هذا الشرفا تقبله الصحيفة بالابتهاال إلى المولى القدير أن يديم
ملك البلاد وولى عهده نصيرين للعلم ، وراعيين للأدب ، وحامين للثقافة .
وكم غمرنا بكتب التشجيع والاعجاب ، وبالحوالات المالية للاشتراك
(وهذا أمر لانستطيع أن نغفله) رجالات مصر على اختلاف مواكزهم
السياسية والاجتماعية . ولقد طابت نفوسنا بما حملة إلينا البريد من
التشجيع الأدبي والمالى من علية القوم وخاصتهم : من أمراء ووزراء
وزعماء وعلماء .

ولقد كان بعض « المستشرقين » من أسبق القراء إلى طلب الصحيفة
والتنويه بشأنها في مجلات الجامعات الأوربية وخاصة المانيا . أما العالم العربى
فقد كان كعادته في حرصه على اقتناء كل ما تنتج مصر من ثروة أدبية . وإنا
لنرسل بأخلص شكرنا إلى إخواننا في العراق ، وفي لبنان ، وفي سورية ،
وفي فلسطين ، وإلى إخواننا الجاوين أفراداً وجمعيات لحديثهم الكريم
على اقتناء الصحيفة .

أما الصحافة المصرية فلها في عنقنا جميل نعتزف به لها لما قابلت به صحيفتنا من نقد وتقدير . ولا شك أن رجالها الفضلاء هم من أعلم الناس بأغراض الصحيفة ومثلها العليا وهي جزء من المنهج العام للصحافة ، مثقفة العقول ، وقائدة الأمم في العصر الحديث .

وسيطر منهجنا كما رسمناه في كليتنا الأولى . وسواصل العمل على الوصول إليه بكل ما يتسنى لنا من الوسائل معتمدين بعد الله ، على العزائم الفتيية ، والأفكار الناضجة ، والأقلام المعبرة . وعلى حسن تقدير قرائنا الفضلاء الذين أحسنوا تحية صحيفتنا وهي في فجر حياتها .



اللغة والأدب

تهنئة الاخلاص والولاء

لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الأول
حفظه الله

بعيد الجلوس السعيد من نظم على الجارم المفتش بوزارة المعارف

واليوم من نسج السحاب أنضر	العيش مخضل الجوانب أخضر
فالعود عود والأزاهر مزهر	والروض يصدق بالبشائر أيكه
صعداً وتجذبه الغصون فينفر	يجرى النسيم به فيجتاز الربا
فالورد ملء ردائه والعبر	كم زهرة علقت بفضل ردائه
فاليوم يدرج ما يشاء ويخطر	إن ضج من آب وحر وثاقه
غردا يصفق بالجنح ويطفر	يطفوا على وجه الجدول طائرا
نعمى الحياة وعز مصر الأوفر	في كفه البشرى وفي همساته
أمل الوجوه المشرق المستبشر	والشمس ضاحكة كأن شعاعها
ميلاده ورنث إليه الأعصر	تختال في يوم ترقبت العلا
من بعد هذا اليوم لا تتعثر	نهضت به آمال مصر وأقسمت
واهتز من شوق إليه المنبر	فلكم تمنى الدين طالع صبحه
خفرا ويزهوها الجمال فتسفر	تمشى المنى فيه تجر خمارها
ينهى كما يرضى الاله ويأمر	فازت به مصر بخير متوج
فبمثله يزهى الزمان ويفخر	يوم إذا زهى الزمان بمثله

السعد في ساعاته مستوطن والعز في جنباته متبخر
هو في فم الدنيا حديث خالد يحلو على الأيام حين يكرر
هو طلعة الورد النضير وظله ونميره ونسيمه المتعطر
أمل البلاد تمسكت بحباله في الحادثات وعيد مصر الأكبر

عيد بأنوار الجلال متوج وبمنة النصر العزيز مؤزر
هو صورة للبشر أحكم رسمها لو أن أيام السرور تصور
لانت به الدنيا وأخصب عيشها ويمنه أخضر الزمان المقفر
وشدت لمطلعه القلوب كأنها طير يغرد للرياض ويصفر
هو في كتاب الدهر سطر مجادة خشعت لهية ما حواه الأسطر
وثبت به مصر وقد طال الكرى ومضت إلى قصب الفخار تغبر
وعلت بفضل ملك مصر مكانة لم تقتعدها في السماء الأنسر
تقطع الآمال دون بلوغها وتسود رؤيتها العيون فتحسر
ترنو لها الجوزاء نظرة حاسد وبذكرها تلهو النجوم وتسمر
وإذا سما الملك الهمام لغاية فالصعب هين والعسير ميسر

عيد الجلوس وأنت عزة أمة تعلو بمولاه العظيم وتكبر
غناك شعري فاستمع لغنائك ان البلابل في الخيلة ندر
ما كل من عرك المزاهر معبد يوما ولا كل المواضع عبقر
ان الرماح حدائد منبوذة حتى يثقف جانبيها سمهر
حيث طلائعك القوافي هتفا وشدت لمقدمك الكريم الأشر
والشعر مرآة النفوس وصورة محسوسة مما تكن وتشعر

يا عيذكُم بك من جمال زاهر يبهى بإشراق المليك ويهر
 كم من مواكب واردة تترجى شرف المثل ومن مواكب تصدر
 والقطريه تف أن يعيش فؤاده والشعب يحجر بالدعاء ويحار
 في موكب لم يلق كسرى مثله في السابقين ولم ينله قيصر
 ضاقت به الساحات حتى أصبحت كالبحر يقذف بالعباب ويزخر
 والناس بين مسبح ومكبر لبي نداه مسبح ومكبر
 والبشر قد ملأ الوجوه نظارة فتكاد من فرط النظارة تقطر
 قدروا ما ترك النذيلة قدرها وكذلك محمود الماثر يقدر
 أحسنت للشعب الوفي رعاية فشدنا بنعمتك التي لا تكفر
 الله قد خلق المكارم والندی شجراً يظل في الهجير ويثمر
 ان الذي ملك القلوب بعطفه أولى بتمجيد القلوب وأجدر

شعري استبق في الحاشدين مبادرا لا يدرك الآمال من يتأخر
 وانزل برأس التين واخشع مطرقا مما تحس من الجلال وتبصر
 فهناك المجد المؤثل سامقا والملك حولك واسع مستبحر
 قصر تراحمت الوفود يبابه وسعى له العدد الخضم الأكبر
 ترنو العيون فتجتلي من نوره فيضا ويغلبها السني فتحير
 هذا ابن اسماعيل فاثّر حوله درر آتدوم على الزمان وتذخر
 في برده أمل الكنانة باسم وبوجهه نور الجلالة مسفر
 ساس البلاد بحكمة علوية بسدادها تعز مصر وتنصر
 عزم كما يصل الحسام وهمة أسمى من النجم البعيد وأبهر
 ومضاء رأي لورمى حلك الدجى لمضى الدجى متعثرا يتقهقر
 بلغت به مصر منازلها العلا يوحى إليها طرفه فتشمر

تمضى كما يمضى الشهاب مجدة
ملاً البلاد عوارفا ومعارفا
وأعاد مجد الخالدين بهضة
فتلفت التاريخ مشدوه النهى
لا تدهش الدنيا فصوله عزمه
الخالدون على الزمان جدوده
النهضة الكبرى إليهم تنمى
درجوا وأما مجدهم فخلد

لا يبلغ الشلو البعيد مقصر
ترجى إلى أقصى البلاد وتنشر
تحتاج شم الراسيات وتقهر
وتطلعت من حجبهن الأدهر
أقوى على كبح الصعاب وأقدر
والسابقون قبيله والمعشر
وجلائل الآثار عنهم تذكر
باق وأما ذكرهم فمعمر

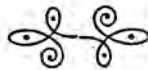
أفؤاد عش للنيل ذخراً انما
قدفاض في طول البلاد وعرضها
يتبرك الوادى بلثم بنانه
الخصب والأغداق فيض يمينه
تبر إذا غمر البلاد رأيها
والأرض وشى طرزت أفواهه
أنى جرى همس الحماثل باسمه
وسرت بمقدمه البشائر حوَّما
ان أصبحت مصر الخصيبة جنة
عش في حمى الرحمن جل جلاله
واهناً بعيدك انه قال المنى
لازلت ترفل في مطارف صحبة
واسلم لمصر فأنت أنت فؤادها

بندا كما تحيا البلاد وتنصر
لكنه في جنب فيضك يصغر
فيعود وهو المعشب المخضوضر
والمسك كدرة مائه والغبر
والدرملء نحورها والجوهر
والزهر منه مدرهم ومدنر
وتبسم النسرين والنيلوفر
السحب تنبى والنسائم تخبر
في عهدك العمرى فهو الكوثر
ترعاك عين لا تنام وتخفر
فيمنه تعلو البلاد وتظفر
هى كل ما يريجوا الزمان ويوثر
وحياتها ولبابها المتخمر

فاروق زين الناشئين المرتجى	كرمت أوائله وطاب الغضر
مجد الشباب مناط آمال العلا	وسنى الحياة ونجم مصر النير
أنبته خير النبات يزينه	خلق كأمواه السحاب مظهر
الفضل يلع في وضىء جبينه	زهوا كما ابتسم الربيع المبكر
ان الصعيد لمزده بأميره	جدلان يصدح بالثناء ويجهر
لو تستطيع الباسقات بأرضه	سعيًا لجاءت نحو بابك تشكر
عاش المليك وعاش فاروق الحمى	يزهو بطلعته الوجود ويزهر

الى حضرات المشتركين

قد تأخر العدد الثانى من « الصحيفة » لأسباب قاهرة فنعتذر لحضرات
المشتركين ونعدهم بصدور العدد الثالث فى ميعاده ديسمبر المقبل .



أعضاء لجنة الصحافة

حضرات الأساتذة

- | | |
|---------------------------------------|-----------------------------|
| المدرس بدار العلوم | (١) السباعي السباعي بيومي |
| وكيل كلية أصول الدين | (٢) حامد عبد القادر |
| المدرس بدار العلوم | (٣) زكي المهندس |
| وكيل كلية اللغة العربية | (٤) صالح هاشم عطيه |
| المدرس بكلية الآداب | (٥) طه احمد إبراهيم |
| المفتش بوزارة المعارف | (٦) عبد الحميد حسن |
| المدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية | (٧) عبد الرحيم محمود |
| المدرس بدار العلوم | (٨) عبد المغني المنشاوي |
| المدرس بكلية الحقوق | (٩) عبد الوهاب حموده |
| المدرس بدار العلوم | (١٠) على عبد الواحد |
| المفتش بوزارة المعارف | (١١) محمد عطية الابراشي |
| المفتش بوزارة المعارف (رئيس التحرير) | (١٢) محمد علي مصطفى |
| المفتش بوزارة المعارف (مساعد التحرير) | (١٣) محمد مهدي علام |
| المدرس بدار العلوم | (١٤) محمد هاشم عطيه |
| المدرس بكلية اللغة العربية | (١٥) محمود محمد مصطفى |
| المحرر بالمجمع اللغوي الملكي | (١٦) مصطفى السقا |

الى حضرات القراء من ابناء دار العلوم

ترحب الصحيفة بجميع المقالات التي تدبجها يراعكم في البحوث
المختلفة.

ولها كبير الأمل أن يكون لها من أقلامكم ما تزداد به ثروتها
وتترقى مكانتها.

التحرير

أسلوب القرآن في المحاجة والجدل

وخطابة أرسطو

بقلم عبد الوهاب حموده

المدرس بكلية الحقوق بالجامعة المصرية

سنبحث في موضوعنا هذا أساليب القرآن في محاجة خصومه .
ومنهجه في مجادلة معارضيهِ ، ثم نطبق هذه الأساليب وتلك المناهج على
قواعد الخطابة التي دونها أرسطو^(١)

ولا ندرى فيما نعلم أن باحثا من القدماء أو المحدثين اتجه في بحثه
هذه الوجهة التي ننهجها في دراستنا للقرآن الكريم . فالقدماء لهم ما يشبه
هذا الغرض بعض الشبه . فأول من وضع الرسائل في أدلة القرآن والنظر
في حججه هو حجة الاسلام الغزالي . له رسالة صغيرة تسمى (القسطاس
المستقيم) بحث فيها الأدلة القرآنية المختلفة . وقسمها موازين ، الميزان
الأكبر ، والميزان الأوسط ، ثم الميزان الأصغر وأخذ يدرج كل نوع
من الأدلة تحت ميزانه . ولكنه لم ينظر إلى تلك الحجج بمنظار الخطابة
ولم يقسها بمقاييسها .

وكذلك صنع ابن رشد فقد ألف ما سماه (الكشف عن مناهج
الأدلة في عتائد الملة) سلك فيه مسالك المتكلمين وجعل كل براهين
القرآن داخلة تحت صنفين سمي الصنف الأول « دليل العناية » والصنف

(١) وترجمها اسحاق بن حنين المتوفى سنة (٢٩٨ هـ) (كافي ص (٣٤٩) من الفهرست
وكذا في ص (١١) مقدمة الذر الفنى للدكتور طه باللغة الفرنسية وقد ذكرت خطأ في
الترجمة العربية ص (١٤) - حنين بن اسحاق .

الثاني « دليل الاختراع » ثم جعل كل همه مناقشته الأشعرية وغيرهم .
وهي أيضا رسالة قيمة وبحث فلسفي طريف .

وللامام أبي الفضل احمد بن محمد الرازي من أعيان القرن السابع
كتيب جليل القدر عظيم الخطر سماه (حجج القرآن لجميع أهل الملل
والأديان) استخرج فيه من القرآن كما قال « حجج كل طائفة على اختلاف
نحلهم وآرائهم وافتراق مللهم وأهوائهم » فأخذ يسرد حجج كل فريق
من القرآن كحجج أهل التوحيد وحجج الجبرية وحجج القدرية وحجج
المرجئة وهكذا وهو نوع من البحث له مكانته وتقديره .

أما الجلال السيوطي فهو على طول باعه وشمول تأليفه لم يستوف
هذا الموضوع في كتابه (الاتقان) بل ألم به إلما وقاربه مقاربة . ونظن
نحن أن السبب في ذلك هو كرهه للمنطق فقد نقل عنه أن قال « وقد
كنت في مبادئ الطالب قرأت شيئا في علم المنطق ثم ألقى الله كراهته في
قلبي » . ذكر في الجزء الثاني من كتابه السابق بابا عنوانه بعنوان « في جدل
القرآن » نقل فيه أموراً يسيرة في علم الجدل وانواعا من الأقيسة التي
وردت في أسلوب استدلال القرآن ولكنه لم يبين في هذا الفصل ما ينطبق
من تلك الحجج على الأدلة الخطائية .

هذا ما كان من شأن المتقدمين . أما المتأخرون فلم أظفر لهم إلا بكتاب
واحد للسيد جمال الدين القاسمي ألفه في سنة (١٣٢٥ هـ) سماه (دلائل
التوحيد) جمع فيه من أدلة الكلاميين ما رده على الماديين والفلاسفة
الالهيين مجوداً في أسلوبه مجدداً في ترتيبه موردأ فيه زبدة ما طالعه في
كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين كابن مسكويه والفارابي
وابن رشد والغزالي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم مقتبساً من آراء
المتأخرين كالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . إلا أن كل ذلك لا يغني عن

ببحثنا أو يسد مسد موضوعنا وبعد فهل في أدلة القرآن ما يتطابق مع أدلة الخطابة ومقاييسها التي عرفها أرسطو وحاكاه فيها المناطقة؟

إن مما لا ريب فيه أن أسلوب القرآن الكريم في المجادلة والمحااجة أسلوب مقنع بالفطرة لوضوحه وجلالته . فقد نقل السيوطي في كتابه (الاتقان) « إن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة . وما من برهان ودلالة إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين . لأن الذي يميل إلى دقيق المحااجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأيوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ، فأخرج تعالى مخاطباته في محااجة خلقه في أجلى صورة ليفهم العامة من جملها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أنبيائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء »

وذكر الفخر الرازي عند تفسيره لقوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » أن : « الأدلة المذكورة في القرآن يجب أن تكون أبعدا عن الدقة وأقربها الى الافهام لينتفع به كل أحد من الخواص والعوام اذ ليس الغرض من الأدلة القرآنية المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقائد الحققة في القلوب »

فأصبح من اليسير اذن أن نرى في القرآن أدلة اقناعية سهلة قريبة الفهم فطرية الادراك وهذا النوع من الفهم والضرب من الادراك تؤديه الأدلة الخطائية اذ تعريف الخطابة عند ارسطو « انها صناعة تتكلف الاقناع الممكن في كل مقولة من المقولات » وهى أيضا عند المناطقة القياس المركب من المشهورات في الظاهر والمقبولات والمظنونات والفائدة من ذلك اقناع الجمهور فيما يحق عليهم ان يصدقوا به من الأمور السياسية

والصلحية والوظائف الشرعية وغير ذلك - (ص ١٤٦ البصائر النصيرية)
هذا الى أن القرآن مملوء بالاسلوب الخطابي مفعم بخصائص هذا النوع
ومميزاته . والآن نرى من الملائم ان نذكر تلك الخصائص والمميزات
فبقول :

يتماز الاسلوب الخطابي بالتكرار وضرب الامثال والاطناب
والجلل الاعتراضية واستخدام المترادفات من المفردات والجمال . ويتماز
أيضاً بالتوكيد ثم بالتهويل والتفخيم واختيار الكلمات الجزلة الصقيلة ذات
الرنين والجلبة في بعض المواطن . والكلمات الرقيقة اللينة العذبة في البعض
الآخر . ويتماز أيضاً بتعاقب ضروب التعبير من إخبار الى استفهام الى
تعجب الى استنكار ، وبمخاطبة الشعور والوجدان واثارة الإحساس
والانفعال

فاذا قرأنا القرآن بامعان وتدبر شاهدنا تلك الخصائص شائعة فيه
تكتنف جوانبه من أوله الى آخره وسنرى ذلك عندما نعرض لتحليل
ادلته وبراهينه .

بعد هذه المقدمة نبدأ بحثنا بالكلام على الاديان التي كانت في جزيرة
العرب عند بزوغ شمس الاسلام والتي جادلها القرآن وجادلته فأدحض
من حجتها وزيف من اعتراضاتها .

جاء الاسلام وجزيرة العرب عدة من الديانات وجملة من النحل .
ذكر القرآن بعضها تفصيلاً والبعض اجمالاً . تلك النحل هي الصابئة
والمجوس واليهود والنصارى والمشركون على اختلاف مناحيهم وتعدد
آلهتهم .

وقد جعلنا بداية كلامنا الحديث عن الصابئة ، تلك الفرقة التي لا تزال
بجهولة الأصل مهمة التحديد والتعريف .

إن هذه الطائفة قد ذكرت في القرآن في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول في سورة البقرة (الآية ٦٢)

والموضع الثاني في سورة المائدة (الآية ٦٩)

والموضع الثالث في سورة الحج (الآية ١٧)

وقد اختلف اللغويون والمفسرون في تحديد مبادئ هذه الطائفة
اختلافا كبيرا . وسنجمال آراءهم ثم نذكر الرأي الراجح مستنبطاً من
غضون ما قاله المؤلفون من كتاب العرب وما ذكره المستشرقون
من الغربيين .

افترق المؤلفون من العرب ازاء هذه الطائفة فرقا : فبعضهم يقول
انها من أهل الكتاب ويقصدون بذلك ان لهم كتابا يعزونه إلى شيث
ويسمونه صحف شيث .

(ص ٣٧٠ > ١ القرطبي - ٨٢ > ١ أبو الفداء - الصحاح للجوهري)
وبعضهم يقول إنهم عبدة الكواكب

(ص ٦ > ٤ الفصل لابن حزم - ص ١١٧ > ٢ الملل والنحل
للشهرستاني - ص ٣٣١ > ١ الفخر الرازي - ص ٨ رسالة الصابئة
للسيد عبد الرزاق الحسني - المصباح المنير للفيومي - دائرة المعارف
لفريد وجدي) ويقول البعض الآخر انهم عبدة الملائكة والروحانيات

(ص ١٧٩ > ٦ الألوسي - ص ٥٨ > ١ الكشف - ص ١١٧ > ١٧
تفسير الألوسي - ص ٦٣ > ٢ الفخر الرازي)

ويرى البعض أنهم من اليهود والنصارى ، وفريق أنهم من اليهود
والمجوس . وفريق أنهم بين اليهود والنصارى ، وفريق أنهم يؤمنون بنبي
ويقرون بكتاب ويعظمون الكواكب تعظيم المسلمين للكعبة .

(ص ٨٨٧ كشف - اصطلاحات الفنون للتهانوي - المصباح للفيومي -

ص ٥٤٩ > ١ الفخر الرازي - ص ٢٢٠ > ٦ الفخر الرازي ص ٢٠٤
 أخبار الحكماء للقفطي - ص ١٢٨ الأحكام السلطانية للباوردي)
 على أن هذا الخلط والاضطراب قد وقع فيه بعض المستشرقين أيضا
 مثل (سيل) في مقدمته لترجمته للقرآن الكريم ومثل (كلير) في كتابه
 (المصادر الأصلية للقرآن)

والرأى الذى نميل اليه هو ما ارتأته دائرة المعارف الإسلامية وما
 ارتأه أيضا (رود ويل) عند شرحه لآية البقرة في ترجمته للقرآن .
 تقول الدائرة في المجلد الأول عند كلمة صابئة :

ان هذا الاسم يطلق على طائفتين منفصلتين : الطائفة الأولى هم
 المبدئيون وهؤلاء مذهبهم مزيج من اليهودية والنصرانية يقومون
 بشعائرتهم على مذهب القديس يوحنا المعمدان ^(١) في بلاد الجزيرة .
 والفرقة الثانية هي الصابئة الحرائية ومذهبهم وثى وهو الذى ظل
 باقيا إلى العصور الإسلامية

أما الصابئة الذين ذكرهم القرآن تحت لقب أهل الكتاب فهمي
 الطائفة الأولى . واسم الصابئة مشتق من أصل عبري بهذا النطق مع ترك

(١) يوحنا المعمدان - ان كلمة يوحنا يونانية الأصل ومعناها نعمة الله ولما ظهر
 يوحنا هذا صار يعبد الناس في نهر الأردن فأرسل اليه اليهود وفدا ليعرفوا من هو
 فيشترهم بمجىء المسيح

(راجع انجيل متى الاصحاح الثالث - وانجيل مرقس الاصحاح الأول - وانجيل
 لوقا الاصحاح الأول والاصحاح الثالث ، وانجيل يوحنا الاصحاح الأول .)

ويقال ان يوحنا هذا هو يحيى بن زكريا الذى ذكرت قصته في القرآن الكريم
 تفصيلا في سورة آل عمران وسورة مريم . (تفسير الألوسي > ٣ . ص ١٤ - الوحي
 الحمدي للسيد محمد رشيد رضا . وص ٣٦٩ من كتاب قصص الأنبياء للاستاذ
 عند الوهاب البحار)

العين منه وهو في العبرية بمعنى (غاص أو غطس) إشارة إلى التعميد الذي يقوم به أولئك الذين يدينون بمذهب يوحنا المعمدان في النصرانية .
أما الصابئة الذين لا يعرفون هذه الطقوس فمن الجائز أنهم اختاروا هذا اللقب « لقب الصابئة » ليتحصنوا فيه وليتمتعوا بما أباحه القرآن لهذه الطائفة من التسامح والتجاوز معهم كما يعامل اليهود والنصارى . انتهى كلام الدائرة .

ثم أخذت تتحدث عن الطائفة الثانية وهي الصابئة الحرائية ناقلة ما قاله الشهرستاني في الملل والنحل وشييه بقول الدائرة ما ذكره (رودويل)

ونحن نرى هذا الرأي ونرجحه وهو أن الصابئة فرقان فرقة ذكرها القرآن وهذه مذهبها خليط من اليهودية والنصرانية حين ظهور الاسلام .
وموطنها البطائح وهي أراض واسعة بين واسط والبصرة (ص ٢٠٥ إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي)

والفرقة الثانية من تسمت بالصابئة ومركزها حرّان ، وهذه الأصل في مذهبها عبادة الكواكب وتقديس النجوم وتقديس الآلهة ، وقد يكون هؤلاء لهم صلة بمن جادلهم الخليل ابراهيم عليه السلام وقص القرآن مجادلتهم في سورة الأنعام وسورة الأنبياء . ونحن لا نريد التوسع في شرح دين هذه الفرقة الثانية لأنها لا يقصدها القرآن وخير كتاب في ذلك هو رسالة الصابئة للسيد عبد الرزاق الحسني .

أما دليلنا على أن هذا الرأي هو الراجح فهو :

اولا — أن بعض اللغويين ذكر أنهم أهل كتاب

ثانيا — أن بعض المفسرين كالقرطبي والرازي ذكر أنهم قوم يشبه

دينهم دين النصارى

ثالثا — ورد في ص (٢٠٤) من كتاب إخبار العلماء للقفطي « أن

أبا حنيفة سئل عن الصابئين الحرائين وهم معروفون بعبادة الكواكب فأجراهم بجرى عبدة الأوثان في تحريم المناكحة والذباحة وصاحبا سلا عن الصابئين السكان بالبطيحة وهم فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح عليه السلام فأجابا بجواز ذبائحهم ومناكحتهم . ولو سئل أبو حنيفة عن هؤلاء لأفتى بفتوى صاحبيه . ولو سئل صاحبا عن الفرقة الأولى لأفتا بمثل قوله »

رابعاً — ذكر الماوردى في ص (١٢٨) من كتابه الأحكام السلطانية » ان أبا حنيفة قال بأخذ الجزية من الصابئين والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم ، وان خالفوهم في فروعه . »

وجاء أيضاً في ص (١٤٥) من كتاب الخراج لأبي يوسف » ان الجزية واجبة على أهل الذمة ممن في السواد وغيرهم من أهل الخيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة »

خامساً — ان هؤلاء الصابئين الذين ذكرهم القرآن مقترنين بأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس . والذين ذكرهم أيضاً أبو يوسف في قوله السابق لو كانوا عبدة أوثان أو كواكب لما رضى الامام أبو حنيفة وصاحبه منهم بالجزية . اذ لانعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدا من الخلفاء من بعده أخذوا من عبدة الاوثان من العرب جزية

سادساً — ان الصابئة الحاليين لا يزالون يقدسون يوم الأحد كالنصارى ويعطلون فيه أعمالهم . وان عادة التعميد لا تزال عندهم قائمة .

وقبل أن نختم الكلام على الصابئة نريد أن ننبه الأذهان الى أن لقب الصابئة الذى يلقب به كثير من الكتاب والحكماء والشعراء هو نسب الى الصابئة الحرائية . كما فى لقب أبى اسحق الصابى صاحب الرسائل ، وثابت بن ابراهيم الصابى وهو عم أبى اسحق كان طبيباً حاذقاً ببغداد ، وهرون بن صاعد بن هرون الصابى الطبيب وغير هؤلاء ممن ذكرهم القفطى . ومن أراد الاستفاضة فى بحث هذه الطائفة فعليه بدائرة المعارف للأديان والاخلاق

الأدب في نهضتنا الحديثة

بقلم محمد هاشم عطية الأستاذ بدار العلوم

أدرك الناس زمان بعد نكبة ابن المعتز كانوا يتطيرون فيه من اسم الأدب ويحسبون المشتغلين به من أهل البطالة المقطوعين عن الاكتساب ويخشون أن تدركهم كما أدركته حرفة الأدب حتى أظننا هذا العصر الذى تنبّهت فيه الشعوب لآحياء العلوم ، وفطنت لما نهض به الأدب من النتائج البليغة ابان تحول الأمم فى وثباتها القديمة ، فأنشأت المكاتب العامة وأقامت الدور للمحاضرة والخطابة ، فأقبل الناس من الطبقات المختلفة على اصطناع الأدب واتخاذها كما كان وسيلة إلى المنزلة وتحصيل الحظ من الحياة . وما كنت تطمع قبل ذلك أن ترى فى مصر هذه الكثرة الغامرة من أندية الأدب ومن أسماء المتأدين من الكتاب والشعراء ، ولا ما تغص به من الرسائل والدواوين ، حتى ليخيل إليك أنه أصبح شأنًا من الشؤون الضرورية للناس يعنون به كما يعنى التجار بالأسعار والصناع بالأسواق ، وأصبحت كبريات الصحف تجرد له الأبواب ، وتنشئ فيه الفصول الطوال ، وجاز لك حينئذ أن تتفاءل بأنه إن شاء الله صائر على هذا النمط من النشاط المطرد إلى أرقى ما سمت إليه البلاغة العربية فى عصورها الزاهرة .

ولكنك عند التفقد والمراجعة ، وعند القعود للاعتراض والنقد ستقول : ينبغى للعاقل ألا يتخذ هذه الكثرة من الكتاب ، والشعراء ولا أن تغره هذه الجهرة من الدواوين والكتب ، وإن يعلم أن الرجاء ليس بكثرة الأعوان ، ولا فى شدة الضجيج ، بل قد تكون هذه الجهارة

مظنة الحرمان والفشل كما دلت عليه التجربة في كثير من الحالات . لأنك حين تقرأ هذا الباب من الصحف ، أو حين تظالعه في كتاب أو ديوان من هذه الدواوين ، ستجد في كثير منها ما يسمونه من قبل أنفسهم « دراسة فنية عميقة » من شاعر لشاعر أو من بعضهم لبعض تشعر عند قراءتها كأنك تقرأ قصة خيالية ، أو أسطورة قديمة . فالشاعر في هذه الدراسة هو وحده الذي هبطت عليه الحكمة وألهمته الحياة معاني الجمال . وأنه يتسامى في عبقريته عن العقول ويجل عن قوانين اللغات . وقد يرى من الهجنة لأدبه أن يخضعه لقاعدة أو يشينه بالاستسلام لأحكام لغة من اللغات ، والشاعر أو صاحب الديوان مغتبط بهذا الاطراء الذي يعصمه من كل زلل ، ويعفيه من كل نقص ، راض عن أدبه وعن نفسه ، مقتنع بأنه أصاب المفصل وبلغ إلى الغاية وأن من يحسب شيئاً من أدبه ركيكاً أو قولاً خطأ فأنما أتاه ذلك من قبل فسولته وفساد قياسه واختلاف تركيبه . وتزداد عندك هذه الريبة حين تجد انكف الشديدي من بعضهم لبعض بتقارض الثناء والعمل على إقامة التكرمات واستحضار الجوع لشهود النبوغ ولتقرير العبقریات والاعتراف لهم بالغلب والتقدم ، ويعقدون الفصول في الموازنة بين جماعة منهم يسمونهم « الشعراء الثلاثة » ، كان الأمر قد استقر والنزاع انقطع على أن هؤلاء هم ثلاثة الشعراء كثرلثات الفحول من طبقة جرير والفرزدق والأخطل في صدر الاسلام وأبي تمام والبحترى والمتنبى في الدولة العباسية وشوقي وحافظ وخلييل في عصرنا هذا وهو بعض ما تعانيه من أملائهم على الناس وتحكمهم في مذاهب المنقطعين لخدمة هذه الصناعة من المطبوعين ولا يوجد مثل هذا النوع من النقد في أمة من الأمم ولا في عصر من عصور الأدب ولا حظي به حقير ولا جليل من شعراء العالم . ومن شأن هذا النقد أنه لا يحمل على

تنقير ولا تتبع ولا يبعث على استكمال في صناعة ولا تهذيب لمذهب .
 فتركه به القرائح ولا تشرئب الهمم إلى الانتقال من حال إلى حال
 وقد يحمل ذلك على القول بأن من بين أدباء هذا العصر من ليس له
 طبع ولا فيه مرهبة ولا ذوق ، وله ولوع بالشهرة ، وقد يكون من أهل
 صناعة أخرى أقعدته قلة التمر فيها عن شفاء هذه الشهوة من الميل إلى
 نباهة الصيت وظهور الأمر فيدخل إلى حلبة الأدب وليس عليها رقيب
 ولا لها حاجب ولا هي بما يمس مصالح الناس التي يتبين فيها الصحيح من
 الفاسد ، والأصيل من الدخيل ، والدعى في كل صناعة إلا صناعة القلم ،
 نصب المسألة ورهن الاختبار وهو فوق ذلك عرضة لطائلة العقاب ،
 وكساد السوق ، والتوارى عن الأبصار . وإن كنا لا نقول بحرمان أهل
 الصناعات العلمية من ذوق الأدب رغم ما يكسبه مراسها من ثقافات مجانبة
 في الجملة لطبائع المتأدين . فربما سلم الذوق الأدبي في الطبيب أو المهندس
 مثلاً من عيب العصية ومن تأثير الصناعة ، فيكون حينئذ ميزاناً للنقد
 وعياراً على الأدب ويكون صاحبه أديباً مطبوعاً ، وراوية ثقة ، ومنشئاً
 للمنخول المذهب من الكلام . وربما جرت هذه الحال عند تفاقمها إلى
 استكراه الناس للأدب ، واستثقالهم لأهله ، واعتبارهم كأهل الحرف
 البغيضة التي لا يعالجها العلية من الناس : نقول هذا ونحن لا نرى مع ذلك
 أن تتشائم إلى هذا الحد إذ لا تخلو كل نهضة من أن يتخللها مثل هذه الحال
 من الاضطراب والفوضى ثم تسكن الثائرة ويستقر الأمر وتعود العقول
 إلى الإنتاج النافع في ظل الاستقرار والدعة ، وذلك ما يتوقعه المحبون
 للغة والأدب من هذه النهضة الحاضرة فأن من بين شعرائها وأدبائها من
 يصح أن يناط بهم الأمل ويعقد عليهم الرجاء وسنشير إلى ذلك عند
 مانع من بعض ما وقفنا عليه في كتبهم ودواوين أشعارهم الحديثة من

جيدها ورديتها لتعلم أن الأليق بنا أن نقف من هذه الحالة موقفاً وسطاً بل أن نكون أميل إلى جانب الرجاء وأن يتغلب عندنا الطمع فيما عندهم من ذخائر القرائح في المستقبل إن شاء الله .

وأول ما يلاحظ في هذه الدواوين بوجه عام ذلك التنوع الظاهر في اختيار الأسماء واجتلاب الألقاب للدواوين والأشعار فسترى فيها «أطياf الربيع» و «الألحان الضائعة» و «الشفق الباكي» و «الذبوع» و «والأعشاب» و «وراء الغمام» وتجد بين أسماء المقطوعات والقصائد مثلاً : «اللهفة الخالدة» و «زهر الحب» و «الحزن الوديع» و «أنشودة الهاجر» و «حلم العذارى» و «البسمة الحزينة» وهي ترجمة لبعض ما يترامون عليه ويدعون دراسته والمعرفة برجاله من الأدب الأجنبي مما يصح أن يشعرك أيضاً باتهامهم لأدبهم حتى احتاجوا إلى تزيينه بمثل هذه الكلمات المجلوبة والألقاب المموهة . ولعل ذلك هو التجديد عندهم كما أنك حين تقدر على عكس الأمور ونقض طبائع الأشياء تدعى في مدرستهم الحديثة من المجددين كالذى يقول :

بك خف الجناح يا أيها الطير وما كنت بالجناح تخف

فالدعوى بأن الطائر لا يخف بجناحه مناقضة لقول خالق الخلق والطير في كتابه العزيز «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم» ولو كانت العنقاء مقصورة الذنب أو متوفة ريش الجناح وهمت بالطيران لعرفت أنها أضيق من ذلك ولكانت كالذى ينتصر بالعجز ويستعين - أعاذك الله - بالخذلان

وشئ آخر وهو رغبة أولئك الشبان من أنصار المدرسة الحديثة في الظهور أحياناً بزى النساك الراغبين عن زخرف هذه الحياة الدنيا وأحياناً بمظهر كبار الفلاسفة الناظرين في أعماق الأمور فيضطربون في القول

ويرتكون في العبارة . وإليك بعض ما لقيناه في هذه الكتب والله يعلم
براءتنا من التحامل وكراحتنا لموضع النقد إذا كان عصياً لعصر على عصر
أو لتقديم على جديد قال في الذبوع بعنوان « عيون المنصورة » والظاهر
أنه يقصد أهل مدينة المنصورة فيما يوصفون به من حلاوة أعينهم وجمال
أشعارهم وألوانهم :

عيون كلها فتن وأصداء من الفتن
أحن لسمرة فيها كسمره مائها الفنى

فذكر كلمة أصداء بعد قوله كلها فتن لاقيمة له . والمعروف أن يترقى القائل
في المدح من الأهون إلى الأقوى لا العكس . وماهى أصداء الفتن المضافة
إلى العيون على فرض صحة وضعها هنا؟ أما سمرة العين وسمرة مائها وفنيته
فهما لم يسبق به القائل . ولقد قطع العلماء من السلف عذر المتأخرين
بتنبيههم على رداءة مثل هذا الكلام حين عابوا قول الأول (على وضوح
الفرق بين الكلامين)

أيا تملك يا تمل وذات الطوق والحجل
ذرينى وذرى عدلى فأرب العذل كالقتل

ومن ذلك عنوان « زهر الحب » وفيه صورة امرأة مجردة على بطنها
وصدرها رسم زهرات يظهر أنها المقصودة بهذا العنوان ولها يقول :

عرضت لنا تقاسيم الجمال وأشعاع الحقيقة والخيال
تلاًلاً بالهوى القدسى بينا تدفق بالتجاوب لا يتهاى

فالبيت الأول كلام منظوم قد تفهمه مع عنف ومشقة أما البيت الثانى
ففيه استعمال بينا فى الحشو وما عدا ذلك فغير مفهوم ثم « أنشودة الهاجر »

يا حبيبي كفى بعادك كفى صيامى على هواك
وهل فؤاد له فؤادك سوى فؤادى الذى اقتداك

ولو أن هذا الكلام قد احتمل معنى صحيحا لما عدل ما فيه من رداءة النسيج كما هو ظاهر . وفي هذا الديوان عنوانات أخرى كالبحر الصغير ، وصومعتي ، والفراشة وما أشبه ذلك مما لا يخلو من سقط وبعضه مستقيم حسن . وفي أطراف الربيع عنوان منكر قبيح هو « الآله المتكر » فبعد آيات منها :

هذي الآلوهة أشرقت وتكرت فبدت لنا في صورة الحسناء
يقول :

حتى الآله يرى التكر واجبا في هذه الدنيا أمام الناس
ولا أدري لهذا الكلام غرضا ولا معنى فضلا عما يحويه من سوء التعبير وسماجة الوضع والتهم بمثل هذا الكلام على لفظ الجلالة كما ترى .

أما وراء الغمام فيعجبني أن أقر لصاحبه بالطبع السليم والديساجة الواضحة وأكاد لا أعثر له إلا في مواضع قليلة على سقط أو ردىء ومن لطيف ماجاد له قوله :

شكا أسره في حبال الهوى وود على الله أن يعتقا
فلما قضى الله فك الأسير حنَّ إلى أسرد مطلقا
وفي الديوان قضى الحظ مكان قضىاته وهذه عندنا أليق ومن رقيق كلامه الذي يصح أن يتغنى به . قوله :

يا حبيبي هداً الليل ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمد جرحينا ولا الصبح شفانا
لا الهوى رق على الشاكي ولا قاسيه لانا
ولو جعل هذا البيت « والهوى مارق للشاكي ولا قاسيه لانا »
لكان أحسن من هذا الفصل غير أن مما يؤخذ عليه قوله من قصيدة :

كم زفرة في الضلوع قرت يحوطها هيكل مريض
مبيدة حيثما استقرت فإن تبسح سميت قريض
هكذا بقافية مرفوعة أو ساكنة على الأكثر وتعتبر الثانية على هذا
لحنا وليست من ضرورات الشعر

ومثل ذلك أيضاً قوله من قصيدة هيكل الحسن أو الحب :
يا هيكل الحسن المبارك ركنه الساحر النور الطاهر رحاب
بالكسر وفيه اضافة الصفة بأل إلى المجرد منها وهو ممنوع قطعاً .
أما ديوان الاعشاب ففيه عدة قصائد جيدة تدل على موهبة يوشك
أن يكون لها ثمرات ناضجة قوية غير أن مما يؤخذ عليه قوله في
« آه يا يوم اللقاء » ليتنى كنت إلها
إذ لم يجر العرف الأدبي بأن تكون الألوهية من أمانى الشعراء وكل
ذلك ليجعل يوم اللقاء طويلاً لا يضاهاى والاعتبار وحده كاف في
تصحيح هذه الظلمة .

ثم قوله في « حلم العذاري » قال :
— اسمحى لى الآن أن أسأل فيما تفكرين .

وهى كما ترى عبارة بلدية

وبعد أبيات منها يتبين أن العذراء إنما تحلم بالعناق وما ليس إلى
التصريح به ها هنا سبيل ، وهو مع كونه معنى طبيعياً مسلماً لا حاجة بالشاعر
أن يتناوله .

وكذلك تجده في « رسالة الكوخ » إذ جعل صاحب الكوخ قواداً
وهو بوضعه لصاحبه في كوخ قواد ، قد ألبسها ربة من حيث لا يشعر
تضع من نفاستها وتجعلها مواجرة ولكنه حين يعود إلى النظر في البيئة
المصرية ويتكلم في الوساطة والرشوة يقع له من لطف الإشارة وملاحظة

النادرة بقدر ما عرف عن الشعراء المصريين من دعاية ودقة كقوله تحت
عنوان « كفاية » .

قالوا فلان ترقى من غير أدنى كفاية
فقلت لا تظلموه فكم له من وشاية
وأخرى يقول فيها :

رقيق فيه برهان صريح على الخلق الموصل للترقى
فانك طاعة عمياء تمشى بنحو للرئيس وغير حق
كأنك لم تكن يوما بحر فيالك بيننا عنوان رق

ذلك ولم نرد التعرض لغير هذه الدواوين التي استشهدنا ببعض ما فيها
لأنها في نظرنا ليست بشيء ، وربما كانت لنا كلمة في التأليف والكتابة
والكتاب في فرصة تالية وأتينا نرجو الله أن يمد أدباءنا وشعراءنا بروح
الرغبة في العمل الصالح فيعودوا بفضل ثقافتهم على هذه الثمرات الباكرة
فيصنعوا بها ما كان يصنعه أسلافهم في العصور الماضية يسقطون من
حسابها ما لا يستقيم ويضيفون إليها ما يتجدد به الزمن من فيض الخواطر
فيضمون بذلك ثروة إلى ثروة وأدبا إلى أدب والله ولى التوفيق ؟



الغـد المحجب

بقلم عبد المغنى المنشاوى

الأستاذ بدار العلوم

كم سألنا الغدَ ماذا فى الوطابُ ولسان الغد عيٌّ بالجوابُ
 وجهدنا أن نرى صفحتهُ فتصدَّى دوننا ألفُ حجابُ
 عجباً للغد يتلو عجباً إنما أمرُ غدٍ أمرٌ عجَابُ
 كلما قلنا ازجروا أطيَّارَه أودعتْ أسرارَه صدرَ عقابُ
 حارَ فيه الناسَ جارا أعجمًا يحذقُ الصمتَ ولا يدرى الخطابُ
 غامض السر وان لامسته تجهلُ الروح وإن مُسَّ الإهابُ
 نازلٌ فى كل يوم راحلٌ ما طوى الرحل ولا حط العيابُ
 ياله ضيفاً قراه أبداً أنفسُ الشيب وأرواحُ الشبابُ
 شمسُه يحفر فيها رمسهُ وكذا الدنيا محيٍ وذهابُ
 مُستكفٌ^(١) الغدِ رفقاً لم تُصبُ فقصارى العين منه أن تصابُ
 جحر ضبٍ قد أضبتْ^(٢) شمسُه هل ترى الزرقاء^(٣) جحرافى ضبابُ
 إن هذا الغدَ بحرٌ زاخرٌ ثلجُه الصَّابُ أو الشهدُ المذابُ
 هم فلكُ فطوى آذيهُ ومضى آخرُ يطويه العبابُ
 أو هو الليلُ : نجومٌ تزدهى وشهابٌ ينتهى إثرَ شهابُ

(١) استكف الشيء استوضحه بأن وضع كفه على حاجبه كمن يستظل

(٢) أضبت الشمس حجبت بالضباب (٣) زرقاء البامة أو العين

أو هو السيف : يسوى نازلاً بين غمدين : قراب ورقاب
بل هو الغيب المهول المرتجى بل هو الحظ : نعيم أو عذاب

كم عروس فوقوا أثوابها فتولى غدها شق الثياب
خضبوا بالمسك كفاً لودروا بدلوها دم دمع بالخضاب
وجلّوها شمس حسن ذلكت (١)
ثم غنّوا لحنها حتى قضت منه نخباً فاذا اللحن انتحاب
زوجوها القبر في زينتها لتقضى فيه أوطار الشباب
ما تراخي القبر عن جلوتها (٢) ملا القبر يديها بالتراب

وكفى زلزلت عزّمته ما حوى الغاب وماضى القراب
فأبنة الريح تراه نسرهما وتراه زيدها الخيل العراب
ينظر الموت مغيظاً مشفقاً من عقاب تحامها العقاب (٣)
قد طواه الغد في شكته (٤) وذباب السيف ماذب الذباب

ومليك بنت الجن له الملك والريح جرت حيث أصاب (٥)
فاسألوا بلقيس من من سبأ أحضر العرش ومن ألقى الكتاب
ما احتواها الصرح حتى أسامت عز من أسلم للحق وثاب
وأجد الغد هدماً فدا ذلك الصرح سواء والياب
فسلوه هل عدا عمر الندى قبلته شفتا الشمس فذاب

(١) اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء. (٢) الجلوة بالكر ما يعطى
للعروس وقت الجلاء. (٣) جمع عقبه (٤) شكته سلاحه (٥) أصاب أراد

كَمْ أَقَامَ الْغَدُ مَا تَحْتَ الشَّرَى وَأَمَالَ الْغَدُ مَا فَوْقَ السَّحَابِ
فَتَجَا الْمَعْتَلُّ فِي كِبَرَتِهِ وَقَصَى السَّالِمُ فِي شَرَحِ الشَّبَابِ
وَاسْتَرَاخَ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّقَتِهِ وَشَكَا الشَّيْءُ أَغْلَالَ الرِّقَابِ

لَيْسَ يَدْرِي الْعَقْلُ فِي حِكْمَتِهِ ③ ③ ③ أَلَهُ فِي الْغَدِ حِظٌّ مِنْ صَوَابِ
لَيْسَ يَدْرِي اللَّيْثُ فِي رُبُضَتِهِ أِيرَاهُ الْغَدُ ذَا ظُفْرِ وَنَابِ
لَيْسَ يَدْرِي الْجَيْشُ فِي عُدَّتِهِ أَتَقِيهِ فِي الْغَدِ الْحَرْبُ ① الْحِرَابِ
لَيْسَ يَدْرِي الصَّبُّ فِي خُلُوتِهِ أَيْدِيمُ الْغَدِ نُعْمَى الْإِقْتِرَابِ
لَيْسَ يَدْرِي الثَّغَرُ فِي رِبْقَتِهِ أَيْلَاقُ الْغَدِ مَعْسُولَ الرُّضَابِ
ذُئِبَ خَتْلٍ لَا يُجَابِي ظُفْرَهُ مِنْ تَوَلَّى عَمْرُهُ حَتَّى الذَّنَابِ

عَالَجَ الْإِنْسَانُ أَبْوَابَ الْعَلَا ③ ③ ③ وَتَخَطَّاهُنَّ بَابًا إِثْرَ بَابِ
ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ مِنْ طِينٍ مَضَى يُنْطِقُ الطِّينَ وَيَأْتِي بِالْعُجَابِ
خَشِيَتْهُ الرِّيحُ طَيْرًا بَشَرًا يَزْجُرُ الرِّيحَ وَيَسْتَاقُ السَّحَابِ
وَشَكَاهُ النِّجْمُ عَيْنًا رَصَدًا تَرْقُبُ النِّجْمَ فَلَا تُخْطِي الْحَسَابِ
وَسَرَى فِي الْكَوْنِ صَوْتًا أَحَدًا لَيْسَ يَثْنِيهِ جِبَالٌ أَوْ هِضَابِ
فَإِذَا الدُّنْيَا لَدَيْهِ رِحْلَةٌ وَإِذَا الْمَرِيخُ مِنْ كَفِّهِ قَابِ

ثُمَّ كَانَ الْغَدُ طَلَسْمًا فَهَلْ ③ ③ ③ حَلَّ ذَا الطَّلَسَمِ أَوْ شَابَ الْغَرَابِ
دَقَّ بَابَ الْغَدِ حَتَّى مَسَهُ دُونَ بَابِ الْغَدِ نُصِبَ وَعَذَابِ
هُوَ بَابُ الْغَيْبِ لَا يَفْتَحُهُ غَيْرُ مُوَلَّى عِنْدَهُ أَمْ الْكِتَابِ

فاطورٍ ذَكَرَ الغدِ بِاطِيفٍ كَرِيٍّ أسفر الصبحُ لِعَيْنِهِ قَقَابُ
وُلِدَ النَّاسُ فَرَجْلٌ وَطِئَتْ هذه الدنيا ورجلٌ في الركابُ
كلٌ حَتَّى بَعْدَ حِينٍ مَيَتْ عاشَ عُمَرَ النَّسْرَ أَوْ عُمَرَ الْحَبَابُ^(١)
فاحذر الدنيا ولا تسكنُ لها ياترَابًا ماشيًا فوق ترابُ
نَاقَةٌ تُنْتِجُ آفَا فَلَ تسأم الوضعَ ولا تبقى السَّقَابُ^(٢)
حَلْبُوهَا أَشْطَرًا لَكُنْهُمْ لم يُفِيدُوا الحِزْمَ مِنْ هَذَا الحِلَابُ
وَرَأَوْهَا جِيْفَةً فَاسْتَكْبَوْا خدثُوا الصدقَ أَنَايسُ أَمْ كَلَابُ

إِنَّمَا الْأَحْيَاءُ مَوْتِي غَرِقُوا في مَلاهي ذلك العيشِ الكِذَابُ
نَوْمُهُمْ مَوْتُ فَايَّمَا اسْتَيْقِظُوا فشيأُهُ نِمْنٌ عَنْ خَلِّ الذَّنَابُ
خُطِبُوا الْجِدَّةُ فِي دُنْيَا الْبَلَى نشدوا العِمرَانُ فِي دَارِ الخِرَابُ
فَاسْكُنُوا الدُّوْرَ قُبُورًا زُوِّرَتْ إِنَّمَا أَكْفَانُكُمْ تَلَكُ الثِّيَابُ

سَاعَةُ الْهَوْلِ أَتَتْ أَشْرَاطُهَا أَيُّهَا الْجَانِي فَأَيَّانَ الْمَتَابُ
قَدْ دَعَا الْحَقُّ فَلَحَقَ اسْتَجِبْ يَسْتَمِعُ مِنْكَ الدَّعَاءَ الْمُسْتَجَابُ
وَارْقُبِ الْأَوْبَةَ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ فِي خُشُوعٍ قَالِي اللَّهِ الْمَأْبُ
لَا تَقُلْ عَتَبُكَ مُرٌّ فَاقْتَصِدْ تَعَذَّبُ الْعُتْبَى إِذَا مَرَّ الْعَتَابُ
لَا تَهَيِّمَنَّ بِأَسْرَارِ غَدٍ مَا عَهْدُنَا الْهِيمَ^(٣) يُرْوِيهَا السَّرَابُ
وَاعْتَبِطْ وَاجْهَلْ مُصَابًا فِي غَدٍ إِنَّمَا الْحِكْمَةُ فِي جَهْلِ الْمَصَابُ
أَيُّهَا الْغَيْبُ عَنِ النَّاسِ احْتَجِبْ شَقَّ عَيْشُ النَّاسِ لَوْ شُقَّ الْحَجَابُ

(١) فقايع الماء (٢) جمع سقب وهو ولد الناقة (٣) الهيم الابل العطاش

في مرآة الأدب

سهل بن هرون

بقلم محمود محمد مصطفى

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

سنخص هذا الباب بذكر هؤلاء الذين عظم خطرهم وجل شأنهم في الناحية التي أبرزتهم فيها الأيام . ندرس خصائصهم التي أهلتهم لهذا البروز ونتقري فيهم أسباب هذا النبوغ الذي حفظ على الأيام اسمهم وأبقى رسمهم . وإنما نريد بتجلية أمور هؤلاء العظماء ما يريده كل مؤرخ من التنويه بذكر الرجال والاشادة بما لهم من الأعمال . وهو روح الأمل يثبها في كل ناشئ وسبيل القدوة ينيره لكل سالك . وجانب الحقيقة يخدمه بإذاعة فضل ستره أهله ووزن عبقرية جحدها عشراؤها وإقامة حجة أدحضها الزمان وتعديل شهادة زيفها جائر الأحكام .

وانك لو اجد في سهل بن هرون كل هذه النواحي فهو رجل له خطره في الأدب والحكمة وله أثره في سمو النفس وعلو الهمة وكذلك جرى عليه حكم الأيام في دروس المعالم وخفاء الآثار فصرتنا لا نجد في التعريف به إلا أسطراً قليلة في أوسع الكتب مادة وأحفلها بتاريخ الأدباء والعظماء

سهل فارسي الأصل من أهل ميسان وهي كورة بين الأهواز وواسط والبصرة . ولقد كان لفارسيته هذه أثر عظيم في كل ما صار إليه من فضل ، فهو نسل هؤلاء الكرام أمة المدينة والآداب والعلم والملك والسياسة والحدق نشأ يحمل دماء آبائه العظماء . وقد نشأ في الولاء

أو شبهه في سهل حكم العباسيين حين كان هذا الولاء رحمة عظيمة للموالى
وكنفاً مرمياً يرتفع فيه ناشئهم وينعم بخيره كبيرهم ، إذ العباسيون قد اطرحوا
الأنفة المنكرة وجانبوا النعمة الطائشة وخلطوا أنفسهم بهم اليهم وعشرائهم
من أهل البلاد المفتوحة ولا سيما الفرس ، ولكن القيد ذل ولو كان من
ذهب . فكان هم سهل ومن علي شاكلته من الموالى أن يطلب الرفعة من
طريق العلم ينص في طلبه عزيمة وينضى مواهبه وعبقريته ، يأخذه أبوه
بذلك أيام طفولته لما يرى من دولة العلم القائمة وحلبة الفضل المتساوقة
ودسوت الوزارة تهيأ لكل ذى قلم فارغ ، وأدب بارع ، ومجالس الخلفاء
تثنى فيها الوسائد لكل عالم بان خطره وجل قدره .

وهكذا كانت نشأة سهل بن هرون بن راهبون فأنه بعد أن ولد
بميسان كما ذكرنا أعد لطلب العلم فانتقل إلى البصرة ، ولم تكن تهض به
حين ذاك إلا البصرة ، عش العلماء ، ومنتدى الأدباء ، ومربدها عكاظ
الشعراء ، وحلقات مساجدها منتضل الآراء ، لا تسمع بعالم أو أديب ،
أو كاتب أو شاعر ، أو نحوى أو فيلسوف . إبان نشأة سهل إلا والبصرة
منشؤه ومبائه ، وكل طارق على بغداد بعد ذلك فإن البصرة منزعه ، ثم هي
بعد منقلبه . فالخليل بن أحمد وسيدويه ، والأصمعي وأبو عبيدة ، وخلف
الأحرار من اللغويين والنحاة ، وواصل به عطاء وإبراهيم بن سيار النظام
من العلماء والمتكلمين ، وخالد بن صفوان وشبيب بن شذبية من الخطباء ،
وبشار وأبو نواس وغيرهما من الشعراء كل أولئك عاشوا بها مجتمعين
أو متعاقبين .

طلب سهل العلم الذى يسهل طلبه ويقبل موقعه ، وتكثر نواحي
الاستفادة به ، وهو الأدب وما يتبعه من كتابة وشعر ودراسة للعلوم

الكونية ، ذلك أن هذا النوع من الطلب يتيسر لكل طالب ويضمن النجاح فيه لكل سالك ، فأقل ما يطمع فيه الكاتب أن يكتب لوال من الولاة ، أو لسرى من الأسرياء ، يتولى تدبير شأنه ، وينشيء رسائله (وما أكثر ما يرغب هؤلاء في التفوق في رسائلهم) ويتلقى ما يرد إليه ويحسب دخلة ومصرفه . هذا مطمع كثير ممن يتناولون الكتابة ويدرجون عليها ، وإذا غلب على أحدهم الشعر فهو أيضا باب للرزق كان مفتوحا على مصراعيه في تلك الأيام . يقصد أحدهم واليا في عمله أو عظيما في قومه أو قائدا في ثغره والقوم يومئذ عرب ، تهزم الأريحية ويملك مسامعهم الكلام المنمق ، والقول المديح .

وما نريد بقولنا هذا أن اللغة والنحو كانا كأسدين أو أن الموالي لا غناء لهم فيها . ما نريد ذلك فإن من علماء اللغة والنحويين من أربى في المنزلة وحصل من الثروة ما لم يكن لشاعر من أقرب المقربين ، وأنت إذا تتبع أخبار الخلفاء والوزراء رأيت مجالسهم لهؤلاء وعنايتهم بشأنهم لا تقل عن احتفالهم بالشعراء وجلوسهم لهم . وقل أن تسمع بشاعر أرسل الخليفة في طلبه وأمر بحمله إليه على أوطأ مركب وأحسن حال فالشعراء هم الدين كانوا يقصدون الخلفاء ويقفون بأبوابهم ويحتالون في الوصول إليهم حتى إذا وصلوا ملئت أفواههم درأ أو حجوهرهم بدرأ

فأما العلماء فلهم زمااتهم ووقارهم ولهم تصونهم حتى يطلبوا فتعد لهم البرد ويفدون أكرم وفادة ثم يكون لهم في مجلس واحد الغنى الذي يبقى في أعقابهم ويتصل في ذرياتهم . وما أجدرنا أن نسجل فضل خلفاء المسلمين في هذا الباب لولا أننا نكون قد خرجنا عما رسمناه لأنفسنا من الحديث عن سهل بن هرون ولم يمنع سهلا من الاشتغال باللغة والنحو أعجميته فقد كان من علماءهما

كثير من الأعاجم بل الأعاجم الذين يرتضخون لكنته فقد كان أبو عبيدة معمر بن المثنى الذى أحاط بعلم العرب وأخبارهم وأنسابهم والذى روى جميع أيامهم — كان على سعة علمه باللغة إذا أنشد بيتاً لم يقرأه ، إذا لم يوجه سهلاً إلى ما نشأ فيه من الأدب والشعر والحكمة إلا محض ميله ورائد استعداده .

ذكروا أنه كان أديباً ، كاتباً ، شاعراً ، حكماً . فأما كتابته فظاهرة كل الظهور فى رسائله التى سمح بها الزمن وفيها على قاتها متعة وجمال يزيد فيه الحسن بتكرار النظر ويتجلى إبداع الفن مع انطاس الأثر . وسنفردها كلاماً فى هذه الترجمة

وأما شعره فلم نثر منه على كثير تمتلئ به اليد ويستطاع به الحكم ولكنه من الشعر الذى جنت عليه الفلسفة ، والفلسفة غنية بالمعنى فقيرة فى اللفظ تلف السرب من بناتها فى ملاءمة وتجمع الرهط من أنبائها فى عباءة والطبع العربى كريم متخرق فى كرمه يمنح المعنى الواحد الكثير من كلبه . هذا ما جعل شعر سهل وغيره من أهل نزعتهم لا يمثل فضلهم ولا يبرهن على نبوغهم فانظر إليه حين يقول

إذا أمرؤ ضاق غنى لم يضق خلقى عن أن يرانى غنيا عنه بالباس
لا أطلب المال كى أغنى بفضلته ما كان مطلبه فقرا من الناس
وأنا أقسم عليك (أيها القارىء) بالأدب الذى تنشده أن تديم النظر
فى هذين البيتين وأن تكرر تلاوتهما وتطلب المعنى فهما قبل أن تنظر فى
شرحى لهما حتى تتحقق قولى وتثبت حكمى الذى قدمته من ظلم الفلاسفة
للغة وإرهاق عباراتها القصيرة بالمعانى الجاررة فيكتفون بالسطر الواحد
فيما يحتاج فى خدمته إلى باب وبالفقرة فيما لا يحصى . فيه كتاب .

يقول سهل فى هذين البيتين : إذا صادفت إنساناً زمن المروءة ،

ضيق العطن ، كز الأنامل ، يرى الجود مرزأة ويعد البخل مغنا فحين أقصده يتجههم لى ويقطب ما بين عينيه ويعتل بغياب المال ، وكثرة العيال ويضيق نى ذرعا ويحاول لى بكل وسيلة دفعا - إذا صادفت مثل هذا وجدت فى كرم نفسى منأى عن أذاه ، وفى عفتى غنى عن غناه . فصدرت عنه يائسا محتقرا أعطاءه ، زاريا على المال وما يجر وراءه .

وهكذا شأنى أصدف عن المال وهو غاية كل حى يقضى به لباته ، ويستوفى من اللذة حاجته ، أصدف عن المال وأعف عن طلبه والتماسه من الناس إذا كان ذلك سيقوعنى فيما لقيته من هذا الشحيح الذى أشاح بوجهه عنى ، وحقر كرامتى وطاش من عزتى فصدرت عنه بذل السؤال ، وخيبة الآمال .

ولن يتم لك فهم معنى هذا الشعر حتى تحتاج أن تقول لك قائل إن « ما » فى قوله « ما كان مطلبه فقرا من الناس » مصدرية ظرفية تدل على معنى المدة وتسبك الفعل بعدها بمصدر وأن معنى البيت وترتيبه هكذا . لا أطلب المال مدة كون طلبه من الناس فقرا أى فيه ما فى الفقر من الذلة والهوان .

وبعد فما أظن أننا أسرفنا فى شرح هذين البيتين أو تزيدنا على قائلهما فيما قصد من معنى احتيالا على الأطالة فى الشرح وتدعيما لدعوانا من أن السطر من شعر الفلاسفة يحتاج إلى باب يعقد لتوضيحه ويبان مراميه .

سهل والحكمة

أما الحكمة فى حياة سهل فلها تاريخ طويل وآثار كبار . ذلك أنه قد اتفق فى نشأة سهل أن كانت سوق الحكمة رائجة وسيلها مهيأ

أظل الناس عهد الدولة العباسية وقد نسى العرب بداوتهم وتحلوا من خشوتهم وخالطوا عسراهم وماجت بهذه العناصر المتمازجة مدنيهم ، ورسخت على الأيام قدم مدنيتهم فلم يجدوا بدا من هذه الضرورة اللازمة

للمدينة وهى العلم وفيه الطب لعلاج الأبدان والحكمة لأصلاح النفوس
وتصحيح الأفهام والحساب لضبط أموالهم والهيئة لحساب أيامهم واهتداء
ربابيتهم فى بحورهم

فكان من أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء العباسيين أن ندب الناس
للنظر فى كتب القوم وترجمة ماتحفز إليه الحاجة ، وكان منه على شدة بخله
جود كثير حتى إنه أعطى جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء نيسابور
عشرة آلاف دينار وأمره أن يترجم فى الطب . كذلك ترجم له ابن المقفع
كتاب المقولات ، وكتاب تحليل القياس لأرسطو ، وكتاب إيساغوجى
الذى ألفه فرفيوس الصورى وجعله المدخل إلى كتب أرسطو المنطقية
وأشهر ماترجمه ابن المقفع أو هو الكتاب الباقى من آثاره للآن ، كتاب
كليلة ودمنة الذى ذاعت له شهرة كبيرة فى أيامه وبعد ذلك حتى نظم
شعرا ليسهل تلقيه لآولاد الملوك والأمراء ، ومن جعله شعرا فى العهود
الأولى أبان بن عبد الحميد اللاحق رجل البرامكة ، ومعلم أولادهم
ومن قوله فيه :

هذا كتاب أدب وحكمة وهو الذى يدعى كليلة دمنه
فيه ضلالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم حكاية عن ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله والسخفاء يشتهون هزله
وهو على هذا يسير الحفظ لذ على اللسان عند اللفظ

ثم كانت أيام الرشيد ، وقد بلغت الدولة أوجها غنى ونظاما وقوة
فراجت الترجمة فى أيامه ، وأعان عليها البرامكة ، أسبق الناس إلى الفضل
وأعرفهم بقدر العلم ، فحروا من همة الرشيد ، وجادوا من تلقاء أنفسهم
فيما ترجم برسمهم ، حتى يقال أنهم أعطوا وزن الكتاب المترجم ذهابا .

وكان من عناية الرشيد بالترجمة أن أنشأ ببغداد دليلاً سهاها دار الحكمة جمع فيها كل ما عثر عليه في ذلك الحين من كتب هندية وفارسية ويونانية . وقد احتجنا إلى هذا الاستطراد ، لأن الحياة سهل اتصالاً وثيقاً به ، فأنهم ذكروا أنه تولى دار الحكمة على أيام المأمون ، فكان إليه تديرها ، ولا شك أنها كانت على أيام المأمون أكثر محتويات منها على أيام الرشيد ، فأن همة المأمون في الترجمة مشهورة ذائعة ، حتى إن المروى عن البرامكة من جعل أجر الكتاب المترجم ، وزنه ذهباً ينسب في كثير من الكتب إلى المأمون لا البرامكة .

والمأمون هو الذى بلغ من عنايته بالترجمة أن جعل للترجمة مدرسة يتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة حتى يجيدوا النقل عنها ، وكان من آثار هذه المدرسة وكتبها المستعملة بها معاجم عربية يونانية وأخرى عربية لاتينية وضعت ليحذق بها أبناء العرب هذه اللغات . ويقال إن في مكتبة الاسكوريال نسخاً من هذه المعاجم .

ومن عنايته بالترجمة كذلك أن جعل للمترجمين يوماً في الأسبوع يجتمعون فيه بعلماء اللغة ليطالع هؤلاء على عملهم فيصححوه أو يقرؤوه . وما أجددنا أن ننسب إلى المأمون الفضل في السبق إلى إنشاء المجامع اللغوية لأن مارسمه للقوم من عمل هذا اليوم في الأسبوع هو الغاية الأخيرة من إنشاء المجامع اللغوية

وإذا قيس الغائب بالشاهد وأقرت الأمور في نصيبها ، كان سهل بن هرون رأس حكماء زمانه والعلم الفرد بينهم حتى جعل إليه أمر الحكمة يديره فترجم الكتب بأمره ، ويصار في صوابها أو خطئها إليه . ثم هو بعد المؤتمن على هذه الناحية من العلم التي خصها المأمون بعنايته . لم يكن سهل من هؤلاء العلماء البخلاء بعلمهم أو المجدين في نتاجهم

كما نرى من كثير منهم يئنا وأحدهم لا يدافع في علمه ، ولا ينازع في فضله
ثم هو مجذب على خصب كالركاز باطنه يلمع ، وظاهره بليق ، لم يكن سهل
من يخلون على الناس بعلمهم ، أو لعله كان مضطراً إلى التأليف والترجمة
ليدل الناس على ما عنده من فضل ولينال بذلك منزلة عند رجال الدولة على
حين لا ينفع المرء إلا عمله فكان من أثاره كتاب ثعلّة وعفرة . وكتاب
النمر والثعلب وكتاب أسل بن أسل ، وكتاب اسباسيوس وكتاب المخزومي
وكتاب الهذلية وغير ذلك ، وليس من كتبه هذه شيء بين أيدينا ،
ولا وصفها أحد من المؤرخين حتى نعرف موضوعها شأن كثير من
الكتب التي ضاعت وبقي منها وصف ما تحتويه عن اطلاع عليها . ولم يذكرها
إلا أنه أخرج كتاب ثعلّة وعفرة يعارض به كلية ودمنة ، الذي طبقت
شهرته وذاع صيته ، وقد حكم المسعودي بأنه يزيد على كلية ودمنة بحسن
نظمه ، ولم يذكرها منه إلا كلاماً لا يدل على موضوع الكتاب لأن هذا
المروى حكمة يصح أن تكون قد وردت في أثناء كلام على لسان قائل
وذلك لا يبين اتجاه الكتاب ولا يحد موضوعه ، وهل تستطيع الحكم
على كلية ودمنة إذا قرأت حكمة وردت على لسان كلية أو دمنة أو الثور
والأسد مثلاً فتستدل بها على روح الكتاب واتجاهه . وإليك فاسمع
ماردده من كتاب ثعلّة وعفرة « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق
مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فإن تقديم النافلة مع الإبطاء
في الفريضة شاهد على وهن العقيدة وتقصير الروية ، ومضر بالتدبير ،
ومخل بالاختيار . وليس في نفع محمد به عوض من فساد المروءة ولزوم
النفيسة » .

ولولا أن الجاحظ وهو من المعجيين جداً يسهل قد خلد لنا رسالته
في البخل في كتابه البخلاء لكنا لا نعلم من سهل شيئاً ولا نرى من كلامه أثراً

والآن فلنذكر النواحي الأدبية من سهل فنصف لك كتابته وما كان يؤثره من المعاني والأغراض فيها ، فنقول إذا صدق على كاتب في أيام سهل بن هرون أنه نسيج وحده فأصدق ما يكون هذا القول على سهل ، وما ظنك بكاتب يجانب طريقة الناس ويشرع في سبيل لم يعبدها أحد قبله ، ويطلب المعاني التي لم يفرعها كاتب سواه ، لقد عهدنا أن الاغراب قديماً كان باللفظ فيمعن الشاعر أو الكاتب وراء غريبه يطلبه في مطارح البيد أو يعاظم فيه ويعتدى على المعهود من نظمه كما كان يفعل الفرزدق ومن على شاكلته يتلمس بذلك الشهرة ، ويرجو أن يغدو حديث الناس وموضوع جدلهم كما أراد ذلك المتنبي فيما بعد ودل على مراده بقوله :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر القوم جراًها ويختصموا

على أن مثل المتنبي أضاف إلى الاغراب باللفظ الاغراب في المعنى ولكن من ناحية غير ناحية سهل فإن المتنبي كان يعتمد إلى المعنى الظاهر فيحذف من أجزائه ويعكس قضاياه ثم يمنحه من اللفظ مثله في الاضطراب والغموض فيخرج المعنى السهل عويصاً منكراً ، فأما سهل فليس هذا شأنه ولكنه يعتمد إلى الموضوع الذي لم يخطر على بال ، ولا عولج من قبل بمقال . فيفيض فيه ويتناول جميع نواحيه ويجعله بما يضرب فيه من مثل ، ويكثر من علل واضحا جلياً مأنوساً وكأنك تقرأ منه حديثاً معاداً مكروراً . فتستمر مأخوذاً بسحر بيانه حتى تنتهي فإذا به قد سخر من عقلك وأقنعت بمحاله ، وألزمك حكم جداله . وإذا بك أمام زعم لا يقره عقل وقد آمنت به وأذعنت له . فلا يسعك إلا أن تستعين بالله من شيطان ، هذا البيان . من منا يستسيغ أن يحكم لبداذة الهيئة على اتساقها ولجهامة الخلقة على جمال الطلعة ، ولقدارة الثياب على نظافتها ولتطامن الذل على عز الكرامة ولكن سهلاً سيجعل ذلك في رأينا سائفاً سهلاً حين نقرأ له :

« لو أن رجلين خطبا أو تحدثا ، أو احتجا ، أو وصفا وكان أحدهما جميلا بهيئا ولباسا نديلا وذا حسب شريف . وكان الآخر قليلا قميئا وباز الهيئة دميما وخامل الذكر مجهولا ، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة ، وفي درب واحد من الصواب ، لتصدع عنهما الجمع وعامتهم يقضى للقليل الدميم ، على النيل الجسم . وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ، ويشغلهم التعجب منه عن مناوأة صاحبه ، ولصار التعجب على مساواته له سببا للتعجب منه ، والاكثر في شأنه علة للأكثر في مدحه ؛ لأن النفوس كانت له أحقر ، ومن بيانه أياس ، ومن حسده أبعد . فلما ظهر منه خلاف ماقدروه ، وتضاعف حسن الكلام في صدورهم كبر في عيونهم لأن الشئ من غير معدنه أغرب . وكلما كان أبعد في الوهم كان أظرف ، وكلما كان أظرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبعد . وإنما ذلك كنوادر الصبيان ، وملح المجانين . فأن استغراب السامعين لذلك أعجب وتعجبهم منه أكثر ، والناس موكلون بتعظيم الغريب واستظراف البديع وليس لهم في الموجود الراهن ولا فيما تحت قدرتهم ، من الرأى والهوى مثل الذى معهم فى الغريب القليل وفى النادر الشاذ . وعلى هذا السبيل يستظرفون القادم إليهم ويرحلون إلى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعاً وأكثر فى وجوه العلم تصرفاً وأخف مؤونة وأكثر فائدة . »

ولنقف عند هذا الحد فى هذا المقال مرجئين بقية البحث فى كتابته ونوادره الدالة على مقدار عقله إلى العدد الآتى إن شاء الله .

تحية مولود

الى ولدى حسام الدين

بقلم مهدي علام المفتش بوزارة المعارف

في انبلاج النهار أشرقت ياطفـنى ، كما يشرق الضياء حيا ،
مثل عمر النهار في الصبح تبدو ، ثم تنوء مع النهار فتيا ،
تقطع الليل والنهار ، وتبقى في برود الصبا غلاما زكيا
كل يوم يشيب ، كل غروب ، ويشب الفتى ويخطو قويا .

فوق مهد من الرعاية تغنى	ناعم البال ، مطمئنا ، خليا
فوق صدر من الحنان ملئ	تطعم الحب في الرضاع شهيا ،
في ذراعى أمومة ، كسياج	من عوادى الردى قويا تهيا .
نظرة الأم في حياك ضوء	تبعث النور فوق ذاك المحيا ،
لثمة الأم للرضيع شفاء	من عناء القماط ، يطويه طيا ،
كم أوار أبكاك يوما ، فكانت	لثمة الأم في جينك ريا !
لثمة الأم - لو دريت - ثراء	يتشاه من يكون ثريا .

يا «حسامى» إذا الزمان تغاضى	سوف ألقى الفرند منك وفيا
بك أغزو وغدر الزمان ليخشى	في يمينى «حسامى» المشرفيا ،
بك أغزو الآلام يوم أرانى	قد تجاوزت فى السنين عتيا .

سوف تلهو بين الدمي فترأى سيدا قائدا ، وندبا أيا .
 سوف تشدوين الرفاق وتعدو سالكا بينهم صراطا سويا .
 سوف تضحي في منزل المجديسى موئل الجمع بكرة وعشيا .
 سوف تعلوبك الكنانة يوما سوف تلفيك في غد جنديا .
 سوف تفنى في رفعة الدين إنا قد بعثناك مسلما مصريا .
 سوف تحنو على ثريا ، فانا قد رجوناك حاميا ، لثريا .
 سوف ترعى عهد أختك رعا وتؤدى الحقوق مادمت حيا .

لم اورثك ، يا بنى ، ضياعا . قد تضيع الضياع شيافشيا ،
 كم وريث للمال ، وهو غبي ، ضيع المال ثم بات بكيا !
 غير أنى اورثك العقل تاجا ، ووريث الحجا بيت رضا .
 هو مالى ، وعدتى ، وولي ، ولخيرى أن كان عقلى وليا .
 هو أغلى ما يملك الناس قدرا وهو أسمى ما ورثوه صيا .
 ليس صدقا ما يزعم المتنبي ، أتى بالحجا غدوت شقيا .
 حدثونى عن عاقل حازم الرأى غدا فعله لدينا زريا ؟
 ليس للمال خلدوا ، الشافعي ، ليس للمال خلدوا ، الأصمعي ،
 ليس للمال خلدوا ، سقراط ، لو لمال لكان ذكرا خفيا .
 نعمة العلم خلدتهم فأضحى دهرنا باسمهم حفيظا حفيا .
 لو لغير العظاات يذكر « قارو » ن ، لأسمى حديثه منسيا .

عش عزيزا بما ورثت فخورا وأيا على المعاصى عصيا .
 فى حمى الله يا بنى ترعرع وتبوا مكان صدق عليا .

النقد الادبى عند ابن قتيبة

بقلم طه احمد ابراهيم
المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

لم تعرف الحياة الأدبية والعلمية عند العرب عهدا خصبا بالرجال ، والآفكار ، والثقافات المتنوعة كما عرفت في صدر الدولة العباسية . فقد كان فيها ضروب شتى من التفكير وضروب شتى من البحوث ؛ وكان فيها ولوع بالمعرفة ، وشغف كبير بالعلوم والآداب .

فينا أئمة الدين يبحثون في الشريعة ، وبيننا رجال العربية يجمعون اللغة ، ويدونون النحو ، ويستنبطون العروض إذ بعلماء آخرين ينقبون في آثار الفرس والسرمان واليونان ، وينقلون منها إلى العربية الصالح المقبول . وما انقضى القرن الثاني حتى كانت العلوم اللسانية والشرعية قد دونت ، وحتى ألم العرب بكثير من أفكار الأمم الأجنبية ، وطرقها في البحث والتحليل .

هذه الحياة العلمية المتشعبة هي التي أخرجت الجاحظ ، وسهل بن هرون ، وأبا تمام ، وابن الرومي ، وأضرابهم من الكتاب والشعراء . وهي التي أثرت في النقد الأدبي تأثيراً بعيد الغور ؛ أثرت في صورته ، وفي جوهره ، وفي الأمزجة التي يصدر عنها ، وفي الثقافة التي ينحدر منها .

يقوم النقد الأدبي في القرن الثالث على الأصول التي شاعت من قبل عند متقدمي اللغويين ، ويقوم كذلك على علم البلاغة الناشئ ، وعلى الفلسفة والمنطق ، وكل ما دخل في الذهن العربي من المعارف الأجنبية . فقلن نراه سهلاً فطرياً كالذي سلف ، وإنما هو نقد متشعب النواحي .

مختلف الأمزجة ، دقيق ، متأثر بروح النقد القديم ، متأثر بكل ما جاء به العلم في العصر العباسي . نقد فيه بحوث قيمة : منها ما أدخل شيئا من الترتيب والتنظيم والقواعد التي تعين الناقد على الفهم والحكم ؛ ومنها ما شرح بعض مظاهر الأدب ، وعلل كثيراً من حالاته . وقصارى القول ، أنه نقد ينبعث عن ذهنيات أربع : ذهنية اللغويين ، وذهنية الأدباء ، وذهنية العلماء الذين أخذوا نصيباً يسيراً من الثقافة الأجنبية ، وذهنية العلماء الذين تأثروا كل التأثر بما نقل عن اليونان .

فلا يزال اللغويون وفصحاء الأعراب من حملة الشعر ونقدته ، وهم — كأسلافهم — من أنصار القديم ، يعيشون في البصرة ، والكوفة وبغداد ، والري ، ونيسابور ، وغيرها ، ويعلمون في المساجد ، ويؤدبون أبناء الخاصة ، ويؤلفون الكتب الحافلة ، وينشرون أذواقهم ، ويطبعون أتباعهم بطابعهم الخاص . من هؤلاء المبرد بالبصرة ، وثلعب بالكوفة ، وأبو العميل الأعرابي ، مؤدب ولد عبد الله بن طاهر بخراسان ، وثاني اثنين أسقطا قصيدة لأبي تمام .

وطائفة أخرى درست الأدب قديمه ومحدثه ، ولكنها غنيت بالمحدث وأقبلت على تحليل عناصره ، وما يبذل الشعراء فيه ، وما بينه وبين شعر القدماء من تفاوت . من هؤلاء عبد الله بن المعتز ؛ فقد كان كثير السماع ، غزير الرواية ، يلقي اللغويين ، ويأخذ عن فصحاء الأعراب ؛ وكان بارعاً في الأدب ، حسن الشعر . وقد اهتم ابن المعتز بنقد شعر المحدثين ، وألف رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساويه . وهذه الطائفة تنقد في الشعر المحدث عناصره وتنوه بالمقبول منها والمردول ، وتوازن بين القدماء والمحدثين وتورد كل ما تورد في نفس قصير ، ودون تشعب في البحث . وكلتا الطائفتين تمت إلى النقد الأدبي القديم بسبب وثيق ، وتنحدر

أذواقها من أصول عربية محضة، وكلتا الطائفتين تمثل في النقد يومئذ الجماعات التي لم تبهرها المعارف الأجنبية . ولكن هذه المعارف كانت كثيرة بفضل ما نقله المترجمون . فأخذ بعض العلماء نصيبا منها ، وفن بها آخرون . وكذلك وجد من العلماء من هو نحوي ، لغوي ، دارس للشعر القديم والمحدث ، دارس لشيء من العلوم الكونية والنقلية ، فجاء له ذوق خاص في نقد الأدب ، ذوق يعتمد على القديم أولا وبالذات ، ويتأثر بالجديد ثانيا وبالعرض ؛ يعتمد على القديم في الروح وفي الشواهد ، ويتأثر بالجديد في التنظيم والترتيب والتأني للأمر بذهنية العلماء . ومن هؤلاء أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

وهذا الذوق الخاص أو هذا المنحى الخاص هو البحث في الأدب بروح العلم ؛ هو التمشي بالنقد الأدبي إلى أن يكون كالعلم دقة وتحديدًا ، هو تحليل الشعر إلى عناصره ، وحصر حالات كل عنصر ؛ هو تنظيم ما عرف قديما في النقد من الآراء والأفكار ، ووضعها في أصول وقواعد يلبسها الناقد ، ويضع يده عليها ، وبعد ؟ وبعد فيصبح النقد كالعلم : له قيود وضوابط ؛ وتصبح عناصر الأدب في بنيته ومعانيه وجماله الفني الذي لا يدرك إلا بالذوق ، ولا يتأتى تصويره باللفظ في كثير من المواطن - يصبح كل أوائلك معينا ، له خصائص ، وله نعوت ، وله حالات لا تتخلف ويصبح الناقد أمام أمور محدودة محصورة ، يسهل عليه أن يعرفها ، ويحكم عليها .

فاما كيف اهتدى ابن قتيبة إلى هذه القواعد والضوابط في نقد الشعر العربي فنحن نوجزه فيما يأتي :

(١) يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » إنه تدبر الشعر فوجده أربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه ، وجاد معناه . كقول

أبي ذؤيب الهزلي : -

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع
وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فأذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة
في المعنى . كقول جرير : -

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيض من عبراتهم وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟
وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه . كقول لييد بن ربيعة : -
ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرء يصلحه المجلس الصالح
فهو وإن كان جيد المعنى والسبك ، قليل الماء والروتق .
وضرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه . كقول الأعشى : -

وقد غدوت إلى الخانوت يتبعنى شاو ، مثل ، شلول ، شلشل شول
فهذه الألفاظ الأربعة فى معنى واحد . وقد كان يستغنى بأحدها
عن جميعها .

ويريد ابن قتيبة باللفظ التأليف والنظم ، يريد الصياغة بما فيها من
لفظ ، ووزن ، وروى . ويريد بالمعنى الفكرة التى يبين عنها البيت أو
الآيات . شرح ذلك حين تعجب من أن يختار الأصمعى بيتاً ليس بصحيح
الوزن ، ولا حسن الروى ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى .
وظاهر أن هذه الأضرب الأربعة نتيجة حصر على . فالشعر عنصران
اثنان عنده : لفظ ومعنى . وكلاهما يحىء حسناً حيناً ، ورديئاً حيناً آخر
وتألف هذه النعوت بعضها مع بعض فتولد عنها فى الشعر هذه الأضرب
ولكن على أى أساس تكون الصياغة حسنة أو حلوة أو قاصرة
وعلى أى أساس يكون المعنى جيداً أو متخلفاً ؟ تكون الصياغة حسنة
حين تكون حسنة المخارج والمطالع والمقاطع والسبك ، عذبة ، لاهمة

وروثق ، سهلة ، بعيدة من التعقد والاستكراه ، قريبة من الأفهام ، ليس فيها بشاعة ، مع خلوها من عيوب الشعر وضروراته ، ومع استقامة الوزن ، وحسن الروى . أما المعانى الجيدة عند ابن قتيبة فهي الحيوية التى تحدث عن تجربة أو أى واقع فى الحياة . فأما المتوجة الروحانية التى تذاق ذوقادون أن تمسك أو تضبط فهمى ليست بشيء .

(٢) الأمر الثانى أنه قسم الشعراء إلى متكلفين ومطبوعين . وكان اللفظ والمعنى ليسا كل شيء فى الشعر ، وإنما هناك الطبع ، والشعور ، والملكة الشعرية ، والنفس الذى يسرى فى الأعاريض ؛ وكان ابن قتيبة يستدرك شيئاً فاته ، كأنه يرى أن اللفظ والمعنى من الأمور التى هى أوفى إلى صورة الشعر ، وأن هناك أموراً أخرى أدنى إلى روحه : هى الطبع . والطبع كبير الأهمية ، حتى أن ابن قتيبة ليرى أن الشعر قد يكون جيداً محكماً ، وهو متكلف غير سائغ . ومهما يكن من شيء فالشاعر اما متكلف وأما مطبوع . فالتكلف هو الذى يهذب شعره ، وينقحه بطول التفتيش ، ويعيد فيه النظر بعد النظر كزهير والخطيئة . والمطبوع من جاءه الشعر عن إسماع ، وغريزة . وهناك دواع تهيج الملكة الشعرية ، وتثير القول فلا يكون متكلفاً ؛ منها الطمع والشوق والشراب والطرب والغضب . هذا الى أن الشعراء مختلفون فى الطبع ؛ فمنهم من يجيد فى أغراض ويتخلف فى غيرها .

وهو فى تقسيمه الشعراء إلى متكلفين ومطبوعين يقسم بالتالى الشعر نفسه الى متكلف ومطبوع . ولقد فعل بعض ذلك ، فذكر امارات للشعر المتكاف . وهو فى كل ما سبق يحرص على تحديد الشعر من أطرافه ، وتحديد عناصره ما ظهر منها وما استتر .

ويعتقد ابن قتيبة أن الشعراء يتفاه تون فى ملكة الشعر تفاوتاً كبيراً ؛

وأن الينبوع الشعري عندهم يتفاوت غزارة ونضوباً ، وأن الشاعر المطبوع متى وردت إليه المعاني وتتابعت جاءتة الألفاظ وتتابعت في سهولة وتدفق ، وعن فطرة وإسماح ؛ وأن الأمانة عند المطبوعين تكاد تصاحب التفكير . وبهذا نستطيع أن نقف في الشعر على سره وكنهه ، وأرق الأمور فيه ، وأقربها اتصالاً به وأمارات الشعر المتكلف ترجع إلى أمرين : إلى الروح والسليقة والطبع ، وإلى التعبير والأمانة . وهو في نقد روح الشعر يحيل القارئ على ماله من ذوق وحس يدرك بهما مانال الشاعر من طول التفكير ، وشدة العناء ، ورشح الجبين . فجمود النفس أو ركوده ، والجفوة التي تحدث بين الشعر وروح قارئه ، والشئ الذي يشعر به القارئ كأنه صاعد جبلاً حين يقرأ — كل ذلك من أمارات الشعر المتكلف ، وكل ذلك دليل على أن الطبع غير قوى في الشاعر ، وأن شعره لم ينبعث عن فطرة خالصة ، وقلب مهتاج . كذلك يظهر التكلف في الأمانة والافصاح : فكثرة الضرورات في النظم ، من مد المقصور ، وتسهيل المهموز ، وصرف الممنوع من الصرف ، والترخيم في غير النداء ، كثرة ذلك من علامات التكلف . كذلك من علاماته غموض الكناية ، والخضوع لقافية جائرة وحذف ما لا بد من ذكره ، وذكر ما بالمعنى غنى عنه .

ولم يذكر ابن قتيبة أمارات الشعر المطبوع ؛ ولكنها تؤخذ ضمناً مما سبق ، ومن كلامه على المطبوعين من الشعراء . فالشعر المطبوع هو الذي صدر عن نفس تجد ما تقول ، وانبعث عن سليقة ، ووفق فيه الشاعر إلى الأمانة المصقولة الواضحة . والواقع أن من الصعب تحديد أمارات الشعر المطبوع ؛ لأن ميادين الطبع والشعور والجودة فسيحة متنوعة .

ولسنا نجادل في أن ما أتى به في الشاعر المطبوع صحيح مقبول . فالينبوع الشعري ، وقوة الطبع ، والعبارات التي يدعو بعضها بعضاً . كل

أولئك من أمارات الشعر المطبوع ؛ لانجادل في ذلك . ولكن في تعريفه الشاعر المتكلف نظرا . والظاهر أن ابن قتيبة يفهم الطبع في الشعر بمعنى الارتجال ، وأن الشاعر المطبوع يكاد يكون عنده مقصوراً على المرتجل الذي يقول على البديهة . فمن أعد شعره ونقحه كان متكلفا . وتلك مجاوزة للواقع ، وللأنصاف . فالشعر صناعة ككل الصناعات تحتاج الى مراعاة وإعداد . وقلما يكرن الشعر المرتجل قويا ؛ وهذه معلقة عمرو بن كلثوم دون غيرها من المعلقات حلاوة وقوة وانسجاما . والقصيدة التي أوردتها ابن قتيبة في هذا الشأن ليست بذات بال ، وليست من جيد الشعر . لا بد في الشعر من شيء من الأعداد ، والأناة يطول أو يقصر ؛ ولا بد للشاعر من أن يستجمع خاطره حتى يقول الشعر الجيد .

فالمهم في الشاعر اذن أن يكون الشعر من طبعه وملكوته ، وأن يواتيه البيان في الأفصاح عن إحساساته وخواطره ، فلا يجهد نفسه ، ولا يطلب منها مالا تعطيه الا بعطف وقهر . وتلك أمور تتحقق في زهير والخطيئة فقد كان الشعر ملكة عندهما ، وكان من طبعهما ، وكانت العبارات تواتيهما في يسر وهوادة . فأما أنهما عنيا بالتجويد وبالتنقيح فذلك لا يخرجهما من المطبوعين .

قديمًا قال الأصمعي : زهير والخطيئة وأشباههما عبيد الشعر لانهم تقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . يريد أنهم يتأنون على غير عادة العرب ، لا أنهم متكلفون . فتوسع ابن قتيبة في تفسير تلك الكلمة . مع أنه ذكر لنا أمورا تثير النفس فلا يحجى القول متكلفا ، وهذه الامور متحققة في زهير والخطيئة : ومع أنه ذكر لنا أمارات الشعر المتكلف ، وشعرهما بعيد عنهما كل البعد . ولكنه يفهم الطبع بمعنى الارتجال ، وما كانا بمرتجلين . وما الطبع الا السليقة والملكة الشعرية ؛ وما الطبع الا أن الشاعر يبين عن

شيء يجده في النفس وجودا، ويحسه إحساسا، ويندفع اندفاعا إلى الأمانة عنه. وليست الأمانة بمنافية للطبع. وخطأ كبير أن نقصر الشاعر المطبوع على الذي يفيض الشعر منه وينساب.

وبعد، فما الذي افاده النقد الأدبي من ابن قتيبة؟ التنظيم والتحديد ووضع القواعد التي يستعين بها الناقد حتى ليكاد يلبس ما في الشعر من عنصر كريم أو هجين. ثم التحرر بعض الشيء من الذوق الأدبي المتقلب المتعرج الذي لا يستقر ولا يدوم. وهل هذه القواعد كافية في تذوق الأدب؟ وهل تصل إلى قرارة الشعر، وتبلغ منه الأعماق؟ إنها نافعة من غير شك، مقربة للحكم، ولكن مداها يقصر عن إدراك كثير من روحانية الشعر وجماله الفنى. لقد وصل النقاد في القرن الثاني إلى أمور جليلة في نقد الشعر. فعرفوا جمال الصياغة، وروثق الديباجة، وتنوع الأعاريض وحلاوة النغم، وروعة المعاني، وصدق الشعور، وقوة الطبع، واطراد النفس؛ عرفوا ذلك كله، وعرفوه بذوق أدبي سليم، وعرفوه مشورا لا تربطه روابط، ولا تحده رسوم. وجاء ابن قتيبة فلم يهدنا في الشعر إلى جمال جديد، ولم يسبح بنا في آفاق جديدة، وما زاد أن أخذ تلك العناصر المتفرقة فضم أشتاتها، ووضعها في أصول قاصرة عن أن تستوعب كل شيء في الشعر؛ أو لم تستهن بأبيات جرير؟ أو لم تجد لها جوفاء فارغة لا تقول شيئا؟ وهي زاخرة بالمعاني، وحافلة بأرق أنواع الشعور؛ ولكنه العلم لا يرضى إلا بما يضبط ويمسك.

وتجدد أذن في النقد الأدبي عند العرب لأول مرة مسألة خطيرة: يستطيع نقدة الأدب أن يستعينوا فيه بطرق العلم؟ أيستطيع العلم أن ينقد شيئا أخص عناصره الشعور؟ ذلك ما نجيح منه في العدد الآتي.

في البيئة المنزلية تنهض اللغة العربية

من بحث بقلم

حضرة صاحب النزة محمد احمد جاد المولى بك المفتش بوزارة المعارف
والاستاذ محمد عبد الرؤوف بهنى المدرس بمدرسة عابدين للمعلمين

المنزل هو المدرسة الأولى التي تغرس في نفس الطفل من العادات
والخلال ما يبق أثره مدى الحياة .

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وأثر الأم أبلغ وأعمق : فالطفل في بدء تأتاته يحاول محاكاة والده
ووالدته ، وهنا يلقي على عاتق الوالدين واجب خطير ، ويعهد إليهما بمهم
يتطلب مجهوداً جديداً كبيراً ؛ إذ يتحتم ألا يلفظا أمام طفلهما بكلمة ، أو بلفظ
أجنبية ، متذرعين إلى ذلك باليقظة والحذر ، والنطق باللغة الصحيحة ،
حتى تختلط بلحمه وتمتزج بدمه ، وينشأ واللغة رضيعي لسان ثدى أم .
ويكثران من محاوراته باللغة الفصيحة ويلقيان عليه كثيراً من القصص
الصغيرة ويطلبان منه الفينة بعد الفينة أن يقصها عليهما ، ولا يدعوها
إعجابهما به إلى التجاوز له عن اللحن ، بل يرجعانه ، وإذا تعذر عليه
التصحيح يرشده . ولا ريب أن واجب بقية أعضاء الأسرة لا يقل عن
واحب الأبوين في إحاطة الطفل بسياج الفصيحة كي لا يتسرب إليه شيء
من العامية أو الرطانة الأعجمية ؛ ولهذا كان عرب الحواضر يرسلون
أطفالهم إلى البادية ، معتقدين أن ذلك أشد لأذهانهم ، وأقوم لألستهم
وأوضح لبيانهم .

وقد اقتضت حكمة الحكيم الخبير أن تجرى تلك السنة ، وتتبع هذه

العادة مع نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام : فعهد به إلى حليلة السعدية
فارتضع أفأويق البلاغة من بنى سعد ، ثم هو من قريش وشب فيها ،
ولغتها على ما نعلم من السعة والركة ، والجزالة وحسن اللهجة . وظهر أثر
ذلك كله في بلاغته صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم
كما قال القاضي عياض ، : « بالمحل الأفضل ، والموضع الذى لا يجهل :
سلامة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، وفصاحة لفظ وجزالة قول ،
وصحة معان ، وقلة تكلف ، أوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ،
وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ،
ويباريها فى منزع بلاغتها .

ولقد أبدى سيدنا أبو بكر إعجابه ببلاغته إذ قال له كما رواه أهل
الأدب : « ما رأيت أفصح منك » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت من بنى سعد » وكان يقول لأصحابه :
« أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت من بنى سعد » ثم جمّله الله فأحسن
تأديبه فكان أفصح اللسان وأوضحهم بيانا ؛ روى عن بشار بن برد
أنه قال : نشأت فى حجور ثمانين شيخاً من بنى عقيل ، وجلست إلى
نسائهم فنساؤهم أفصح منهم . وهذا أكبر مؤيد لما ذهبنا إليه من عظم
تأثير البيئة المنزلية فى تقويم اللسان ، وشحذ الالهام . فإذ ترعرع الطفل
فى بيئة سليمة التفكير ، حسنة التعبير ، كان أقوم قيلاً ، وأوضح فى البيان
سليلاً ، وإلا فاللكنة تعقد لسانه والعجمة تبهم بيانه .

هذا وأن القلب ليكاد ينفطر ، وماء الشئون لا يفتأ ينهمر حينما يذكر
المرء ما يعتمد إليه بعض أغنيائنا ، وينزع إليه الكثير من عظمائنا من إلقاء
اطفالهم بين يدي مربيات أجنبيات يرضعنهم مع اللبن الرطانة الأعجمية ،
ويعودنهم العادات الأجنبية التى تتنافر مع آدابنا القومية ، ولا تتلاءم

مع أخلاقنا الدينية فينشأ الناشء منسلخاً عن قومه ووطنه في عاداته وأخلاقه وشعوره وإحساسه ، لا يكاد يبين إذا حاول النطق بالعربية ، بل يتلثم لسانه ، وتختل عباراته ، وتدمى القلوب لهجته . ولقد سمعنا طفلاً يخاطب ظئره الأجنبية بالعربية ، ومع سماعها إياه وفهمها ما يرمى إليه لم تعره اهتماماً ولم تباله بل ازددرته وأعرضت عنه ، فاضطر المسكين أن يكلمها بلغتها ، مدعنا لاصرارها ، خاضعاً لإغاثتها واستكبارها فهشت له ولبت طلبه .

فهذه المربية وأمثالها ، وهن كثيرات في تلك البيئات ، يغرسن في نفس الطفل احتقار لغته وقوميته فيشب مزدرياً لها بل نائياً عنها .
وقل مثل هذا أو أشد عن يرمى به إلى المدارس الأجنبية ، فإن عاقبته لا تقل عن ذلك إن لم تكن أدهى وأمرّ . يعتمد هؤلاء العضاء إلى تربية ابنائهم على هذا النمط المعيب مغتبطين بذلك أيما اغتباط ، معتقدين أنهم ربوا أبناءهم تربية عالية ، وأعدوهم إعداداً حسناً ولا يدرون أنهم بعملهم هذا يصوبون سهاماً مسمومة إلى نحور لغتهم ووطنهم ودينهم فإن هؤلاء الأبناء . مع شديد الأسف هم رجال المستقبل ، وأولياء أمور البلاد غداً ، فهل يرجى منهم نفع لبلادهم ، وهم لا يشعرون بشعورها ولا يحترمونها عاداتها ، ولا يتخلقون بأخلاقها ، أو يتأدبون بآدابها ؟ وهل ينتظر منهم رفع لشأن لغتهم — التي هي صلة الوطنية ، وترجمان الأمانى القومية ؟ هل ينتظر منهم هذا وهم يجهلون اللغة ولا تكاد تسلم لهم عبارة من لحن شائن ، أو عامية معيبة ، أو رطانة مزرية ؟ وأن في مصر لأسراً مصرية تحرم على نفسها ، وتأتى الإباء كله أن تتكلم في منزلها إلا باللغة الفرنسية ذهاباً إلى أن في ذلك الرقي العظيم ، واعداد نشئهم لهذا الرقي ؛ حتى أن الزائر لهذه الأسرة وأمثالها إن كان فرنسياً لا يشعر بأنه بعيد من مألوفه لغة وعادة .

ولكن الفتى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان
 ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان
 فهل يتوقع أن يوجد عند هذه الأسر من الآمال والأمانى مثل ما عند
 بنى وطنهم؟ وهل يمكن أن يخدم أبنائها بلادهم وهم على هذه الحالة
 الشنيعة من الانسلاخ؟ كلا وألف مرة كلا!! هذا مبلغ تأثير التربية
 المنزلية فى اللغة التى هى عروة الدين ورابطة الوطنية، وعماد القومية.
 ومن ذلك ندرك خطر الواجب المقدس والمسئولية العظمى الملقاة على
 عاتق الوالدين، ونعلم علم اليقين أن تعليم الأم أمر لا مفر منه ولا يحصى
 عنه. لا جدال فى وجوبه، ولا نزاع فى أن حاجتنا إليه حاجة إلى الحياة.
 الحققة؛ فإن الأم الصالحة تعرف الواجب لصغيرها، وتسير فى تربيته.
 وإعداده لوطنه على بينة من أمرها فلا تحبط فى ذلك خبط عشواء، بل
 ترقى به على نور العلم إلى ذروة العلاء. ولقد صدق من قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق
 غير أن ما يمزق الذؤاد كدأ، ويلهب نار الأسف بين حنايا الضلوع
 — أننا لا نسلك فى تعليم المرأة السبيل التى تنتهى إلى الغاية المنشودة —
 من أعداد امرأة صالحة للاضطلاع بمهم تدبير المنزل وسياسته، وحسن
 القيام بواجب تربية الطفل تربية تهيئه للنفع العام. بل نسلك فى تعليمها
 سبيلا شائكة معوجة تنتهى إلى هوة عميقة، وطامة خلقية كبرى.

وإلا فقل لى بربك: لماذا يكون تعليم البنات والبنين على وتيرة واحدة.
 نظاما ونهجاً واختباراً؟ أتوقع وقتاً وحالا تستحيل النساء فيه رجالا،
 ونكون حينئذ قد أعددنا العدة وأخذنا الأهبة لقيامها بعملها الجديد؟ أم
 نبغى، لقلة عدد المتعلمين، أن نعد الموظفين والمدرهات والطائرات
 والقاضيات والمستشارات والوزيرات؟ مع أن عندنا مع ارتفاع نسبة

الأمية ارتفاعاً هائلاً ، عشرات الآلاف من البُهْل المتعلمين الذين يتسكعون في الطرقات وتغص بهم المقاهي ؟

يا قوم ؛ ليست هذه سبيل تعليم المرأة تعليماً صالحاً ، فإن كنتم تريدون أما لها من قوة تعليمها وصلاحيته ما يمكنها من القيام بواجب تربية أبنائها ، وحسن إدارة منزلها وتديره ، فبادروا إلى فصل منهاج تعليم البنات عن منهاج تعليم البنين ، فإن لكل وجهة هو موليها ، وقد أعد الله المرأة لعمل غير عمل الرجل ، وكونها تكونياً يجعلها أقدر على أداء مهمتها منه ، وفضلتها عليه في القيام بهذا المهم ، كما كون الرجل تكونياً يؤهله لأداء واجبه الخاص به في الحياة ، وفضله على المرأة في ذلك . روى أن أم سلمة رضى الله عنها إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم : رأت الرجال قادمين من الجهاد في سبيل الله فتمنت أن لو كانت رجلاً جاهدت ونالت أجر المجاهدين ، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها بأنوثتها حُرِّمت ذلك الأجر ، كما حرمت نصف الميراث ، فنزل قوله تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلو الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً »

فبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن لكل من الرجل والمرأة سبيلاً في الحياة لا يسلكه سواه ، وعملاً لا يقوم به غيره ، وأنه لا يجوز لأحدهما أن يتطلع إلى ما خص به الآخر . فهذه هي الشرعة الواضحة ، وذلك هو المنهاج القويم فيجب ألا يتجاوز منهاج تعليم المرأة الغاية من إعدادها لما خلقت له بأن تعلم ما يأتي : —

(١) لغة البلاد : تجيدها قراءة وكتابة ومحادثة .

- (٢) دينها : تتفقه فيه تفقها يجعلها على بينة من ربها ، وعلى بصيرة من محاسن الخلال ومكارم الأخلاق .
- (٣) شؤون المنزل : تتعلم كيف تديره إدارة حكيمة وتديره تدبيراً رشيداً ويدرس لها من العلوم ما يؤهلها لذلك . كالحساب مثلاً .
- (٤) تربية الأولاد : تعلم كيف تعنى بشأن أولادها ، وتحسن القيام على تقويمهم وتحافظ على صحتهم .
- (٥) تربية قوة الحكم والاستنباط والعاطفة الوطنية : تعلم من التاريخ والجغرافيا والأشياء والتربية الوطنية ما يربي عندها ملكة الحكم الصحيح والاستنباط الحق والعاطفة الوطنية .
- هذا بمجمل ما ينصح للبنات أن تتعلم ، وما يلزمها في القيام بواجبها في الحياة على أتم وجه وأكمل صورة

خواطر !!

بقلم فايد العمر وسي خريج دار العلوم

والمدرس بالمدارس الابتدائية

هكذا العيشُ فاصطبر يا فؤادي كلَّ ما كان أو يكون جميلُ
 طالما حرتُ بالزمان وحارت فيه مني مواهب وعقول
 لم يفدني تبرمي غير سخط من حياتي فما عساي أقول ؟
 كلما همُّ بالترحل خطبُ حل خطب من المآسى جليل
 وبلايا تيجيء إثر بلايا وكأني لطعنها مفلول
 فاذا ثرت بين هم ويأس حطم القلب زفرة وعويل
 أوتناهت بي الشكاة دهني ألسن الطعن تعتدى وتصول
 إنَّ هذا الوجود قاسٍ فمالي في وجودي مودة أو خليل

سبروضُ الهموم قلبي طروبا ويلاقى الطعان شهماً فتياً
 إنَّ مر الدواء يحلو إذا ما جرعة الشفاء شيئاً فشيئاً
 وشقاء الأسي نعيمٌ إذا ما خالط النفس في صباها ملياً
 إنما تؤلم الشقاوة نفساً صادفت في الحياة يوماً هنياً
 أو تساقطت من النعيم كئوساً واستساغت من الطعام شهياً
 أورات رحمة من الأهل والصحب وعطفاً من القلوب ندياً

أَوْ تَغْتَنُّ مِنَ الزَّمَانِ بِجَهْدٍ كَانَ فِيهِ الْقَوَادِ سَمَحًا خَلِيَا
 أَوْ أَحْسَسْتَ مِنَ الرِّجَاءِ شِعَاعًا يَبْعَثُ الْمَيِّتَ فِي الْجَوَانِحِ حَيَا
 كُلُّ هَذَا فَقَدْتَهُ - لَهْفَ نَفْسِي - كُلُّ مَا لِي عَلَى الْوُجُودِ عَلِيَا
 لَسْتُ أَسَى عَلَى أَمَانٍ تَوَلَّتْ أَوْ شَبَابٍ نَسِيتُ فِيهِ صَيَا
 بِي ذُمَاءٌ مِنَ الْحَيَاةِ ، فَإِنْ دَا مَتَ فَاهْلًا ، وَإِنْ تَوَلَّتْ فَهَيَا
 « فَايِدِ الْعَمْرُوسَى »

(١)

مَرَّ يَوْمٌ . . .

بقلم سيد قطب خريج دار العلوم

والمدرس بالمدارس الأميرية

مَرَّ يَوْمٌ مِّنْذَ مَا اسْتَيْقِظْتُ أَمْسٍ مَرَّ يَوْمٌ !
 نَبَأُ يَا بَاهُ وَجَدَانِي وَحَسِي فَهُوَ وَهْمُ !

مَرَّ يَوْمٌ ؟ قَالَتِ السَّاعَةُ : مَرَّ قَوْلُ وَائِقُ
 أَسْأَلُ الشَّمْسَ أَحَقًّا ؟ وَالْقَمَرَ فَيُوافِقُ

أَهْوَى يَوْمٌ فِي الرُّؤَى لَأَفَى الزَّمَانِ وَالْحَقِيقَةُ ؟
 أَمْ تَرَى يَوْمَ طَوَاهِ الْعَقْرَبَانِ ^(٢) فِي دَقِيقَةٍ ؟

كَيْفَ مَرَّ الْيَوْمَ مَا هَذَا الْعَجَبُ ؟ كَيْفَ مَرَّ ؟
 تَكْذُوبُ الْأَفْلَاقِ أَمْ حَسْبِي كَذِبُ ؟ أَمْ سَخِرَ ؟

(١) يتقظ الشاعر يوما فوجد أنه نام نهارا وليلتين ، فتحركت نفسه بهذه القصيدة .

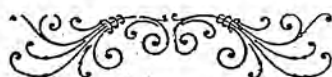
(٢) عقربا الساعة يطويان الدورة كاملة في دقيقة إذا أديرهما محرك الساعة

لم تكن فيه حياةً أو أملٌ أو تمتعٌ
وهو محسوبٌ علينا في الأجل فهو أضيع

ت حسب الأقدارُ بالكم فلا هي تفرق
بين يوم مرٍّ (١) أو يوم حلا أو تحقق

وؤديها - كما تبغى - الحساب وهو عمر
فيه من خصبٍ وفيه من ياب وهي تذرو

سيد قطب



الوصف في شعر امرئ القيس

بقلم السباعي السباعي يومى

الأستاذ بدار العلوم

- ٢ -

ناحية الخيل والصيد

عالجنا في مقالنا الفائق الوصف في شعر امرئ القيس من الناحية الغزلية وكنا على أن نعالجه في مقالنا هذا من ناحية الخيل والصيد وهاتين أولاء نبر بما قلنا .

كان امرؤ القيس على ما سلف منصرفاً بكل نفسه في أوليات حياته إلى ناحية اللهو والاستمتاع فلا يزال يتنقل في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ آفاقها وكلما صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فحرجهم وخرجوا إلى الصيد فتصيدوا ثم عادوا فأكلوا وشربوا وغنم قيانهم . وكان إلى جانب هذا ذا وجد وسعة يدال بهما مأربه ويشبع منهما نهمه ، ثم كان أحب شيء إلى نفسه بعد التغزل بالنساء اللهو بالخيل والصيد فكان لهذا كله ذا قنية لكرائم الخيل ودراية بمحاسنها ومعرفة لأحوال الصيد إذ تلك أمور تهواها نفسه وتتطلبها لهوه ومن ثم كان طبعياً أن يعالج في معلقته بعد الجانب الغزلي وصف الصيد بما يتقدمه من وصف الخيل وما يعقبه من النزول للراحة والأكل وأن يختص هذه الناحية فيها وفي غيرها .

بكثير من شعر قاصداً في ذلك النحو الآتي

يرى المطلع على شعره في هذه الناحية أنه يبدأ نبعت الفرس ويثنى بوصف الصيد وينهى ما يريد بالخط للراحة والأكل . فمن حيث نبعت الفرس ما كان يدع وصفاً حسياً يعطيه قوة وخفة وجمالاً إلا يفرغه عليه فتراه يجعله ضخم العظام يقوى بهيكله على الشدائد أملس الظهر يزل اللبد عن وسط منته وكان يعتمد إلى تشبيه هذه الملائسة بملائسة مسحق العروس لاستدامتها ذلك الطيب فيه أو صلاحية الخنظل لحاجته إلى طول الدق لما فيه من قوة وصلابة وهذا منه جميل وأجمل منه أن يعطيه خاصرتي الطي وساقى النعامة ويجعله عن ابتكار لم يسبق إليه قيد الأوابد وهى نوافر الوحوش ذا اندفاع شديد لا يقل في فره وإدباره عنه في كره وإقباله فهو في كليهما كالصخرة يحطها السيل من عل فتهوى متأثرة بثقلها ودفع السيل إياها ومنحدرها فى هويها وبهذا كان يشبه زلل اللبد عنه أيضاً ثم هو يقول عن فنون سيره إذا قرب فثعلب وإذا أرخى فسر حان وإذا سار على الذبل كان اهتزامه كغلى القدر وإذا دنت السابحات فأثرن الغبار بركلهن الكديد سح فكان فى دره كخذروف الوليد ويقول عن قوته إنه يزل الخفيف عن صهوته ويعنى الثقل بشدته ثم هو يختار للونه الخمرى ولذيله الضفو والاسترسال ليكون هذا أدعى إلى فرط جماله وزيادة حسنه وذلك كله حيث يقول من المعلقة

وقد اغتدى والطير فى وكناتها	بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا	بكل ود صخر حطه السيل من عل
كيت يزل اللبد عن حال منته	كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كأن اهتزامه	إذا جاش فيه حميه على مرجل
مسح إذا ما السابحات على الونى	أثرن الغبار بالكديد المركل
درير كخذروف الوليد أمره	تسابع كفيه بخيط موصل

يزل الغلام الخفق عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثل
 له أيتلا ظي وساقا نعامة وإرخاء سبر حان وتقريب تنفل
 ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل
 كأن على المتنين منه إذا اتحى مداك عروس أو صلاية حنظل
 ومن حيث النهوض للصيد والنزول بعده للراحة والأكل أجاد في
 المعلقة نعت النعاج فجعلها في جمال ألوانها ورتوعها كالعذارى يدرن في
 ملائهن المذيل حول دوار وهو صنم وشبههن إذا يدبرن ويسترسلن بعقد
 الجزع المفصل بين حباته المبالغ في تجميله حتى يتلاءم وطفلا ذا عزة
 وثراء وكان ذلك المنظر الجميل للنعاج قد أغرى فرسه بالعدو وراءهن
 فلحق بالهاديات ولما تتفرق الصرات وعادى في آن بين ثور ونعجة فأدركهما
 ولم يغسل بماء ثم أقبل وقد علقت بنجره الأبيض الدماء فكانت فيه
 كعصارة الحناء في الشيب المرجل . وحين نزلوا بما صاد ، جعل طهارة
 اللحم غرقين في إنضاجه من صفيف مشوى وقدير مسلوق ولم ينس إذ
 قاموا للرواح أن يبقى على الفرس بالرغم من تلك الجهود قوته وحسنه
 حتى إن الطرف ليقتصر دونه فلا يكاد يرتفع إليه حتى ينحط عنه روعة
 منه أو خوفاً عليه وأنه لذلك قد أباته أمامه مسرجاً ملجماً نزهة لعينه
 ومسرة لفؤاده وهذا إذ يقول :

فغن لنا سرب كأن نعاجه	عذارى دوار في ملاء مذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه	بجيد معم في العشيرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه	جوا حرها في صرة لم تزيل
وعادى عداء بين ثور ونعجة	درا كا ولم ينضح بماء فيغسل
فظل طهارة اللحم من بين منضح	صفيف شواء أو قدير معجل
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه	متى ماترق العين فيه آسهل

فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعينى قائماً غير مرسل
هكذا كان يصف امرؤ القيس الخيل والصيد لا يغفل عن ناحية من تلك
النواحي الثلاث ولكنه ما كان يجعلها في مستوى واحد من حيث السعة
والإشباع فكان في كل قصيد يميل إلى إحداهن فيدى فيها دون الآخرين
ضروباً من الاطناب والافتنان فبينا تراه فيما أسلفنا من المعلقة قد أفاض
وأطال في وصف الفرس دون وصف الصيد والنزول تراه في قافيته
التي مطلعها :

ألا انعم صباحاً أيها الربع فانطق

وحدث حديث الركب إن شئت فاصدق

قد أطال الإطالة كلها في وصف الصيد دون الأمرين الآخرين بمهداً لهذا
بعد بيت واحد في وصف الفرس يبعث الرىء المستور الذى كان يمشى
الموئى في شجر الضراء كذئب الغضا متقياً أن يراه الوحش والذى كان
مبالغاً في ستر نفسه يالصق جسمه بالتراب ساقفا الأرض يبطنه غير رافع
من شخصه سوى الرأس والذى جاء مخبراً بأن هناك قطيعاً من البقر وآخر
من الحمير وثالثاً يرتعى متفرقاً من النعام فما إن سمع منه باعثوه ذلك حتى
أسرعوا بأشلاء اللجام إلى فرس كغصن البان الناضر ولم يقودوه إليهم
للعجلة منهم أو الإعزاز له وهنا كانت مزاولتهم في حمل الغلام عليه وقد
صلب وامتد كعود الرحل الضامر فما إن علا الغلام وسط منته حتى كان
منه إلى الصيد على ظهر باز محاق في السماء . ولقد ذكر عن فرسه هذا أنه
صادف وهو يهوى في طريقه إلى القطعان أرنباً جلاها بطرفه الحديد
فعرز عليه ألا ينالها وحاول الغلام صرفه عنها إلى ما هو مراد فنبهه محافظة
عليه أن تلك محاولة إن أصر عليها منتجة لا محالة قذفه من أعلى القطاة
فأولى أن يصوب ويصيد وأن ذلك الغلام أطاع وفعل ثم أسرع به إلى

القطعان فأدبرن أمامه كأنهن الجزع المفصل بجيد ذلك الغلام فعدا
وراءهن كالغيث المنهمر في العشاء فأدركن ثانياً من عنانه وصاد من كل
قطيع ما أراد في عدا واحد دون أن ينضح بماء ثم رجع وفي مصيده
من كل نوع أشداؤه ففيه العير من الحر والثور من البقر والظلم الخاضب
من النعام وإليك في هذا مقال :

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
بعثنا ربيئاً قبل ذاك مخملاً كذب الغضا يمش الضراء ويتقي
فظل كمثل الخشف يرفع رأسه وسائره مثل التراب المدفق
وجاء خفياً يسفن الأرض بطنه ترى التراب منه لاصقاً كل ملصق
وقال ألا هذا صوار وعانة وخيط نعام يرتعى متفرق
فقمنا بأشلاء اللجام ولم نقد إلى غصن بان ناضر لم يحرق
نزاوله حتى حملنا غلامنا على ظهر ساط كالصليف المعرق
كأن غلامى إذ علا حال منته على ظهر باز في السماء مخلق
رأى أرنباً فانقض يهوى أمامه إليها وجلاها بطرف ملقلق
فقلت له صوب ولا تجهدنه فيدرك من أعلى القطاة فتزلق
فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد الغلام ذى القميص المطوق
فأدركن ثانياً من عنانه كغيث العشى الأقهب المتودق
فصاد لنا عيرا وثورا وخاضبا عدا ولم ينضح بماء فيعرق
ولم يعدم شعره إفاضة في الأمر الثالث وهو النزول بعد الصيد كما فعل في
بأنيته التي مطلعها :

خليلي مرا بنى على أم جندب نقض لبانات القواد المعذب

فقد أطال في وصف النزول ممهداً لهذه الاطالة بوصف بيت مروح نزله
بعلياء فقالوا عليهم فضل الثياب المشدودة بالأطناب ولقد عمد إلى تكوين

هذا البيت من أدوات قتال أو زينة إشادة بشجاعته وسيادته فجعل أوتاده
أسلحة ماذية وأعمدته رماحاً ردينية ذات أسنة مقضية وأطنابه أشطان
رواحل خوص نجائب وجعل صهوته وهى وسط سماوته أى سقفه من
البرد المخططة المصنفة وهى الأتحمة المشرعية وسائر السهادة من البرد ذات
العصائب كما جعل مساند الظهور فيه كل رحل ذى طرائق مشطب من
نسج الحيرة وما أجمل تعبيره عن لذة ذلك اليوم برفاهيته وعن سعادة
مقيله بغياب نحسه وفى ذلك المجلس انتزع ذلك التشبيه الخالد لعيون الوحش
وقد ألقيت حولهم يجعلها كالجزع غير المثقب ذلك المعنى الطريف وهو
شمس الألف من دسم الشواء غير الكامل النضج بأعراف الجياد وهذا
إذ يقول .

فقلت لفتيان كرام ألا انزلوا	فعالوا علينا فضل ثوب مطنب
فقمنا إلى بيت بعلياء مروح	سماوته من أتحمى معصب
وأوتاده ماذية وعماده	ردينية فيها أسنة مقضب
وأطنابه أشطان خوص نجائب	وصهوته من أتحمى مشرعب
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا	إلى كل حارى جديد مشطب
فظل لنا يوم لزيد بنعمة	فقل فى مقيل نحسه متغيب
كأن عيون الوحش حول خبائنا	وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
نمش بأعراف الجياد أكفنا	إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وكما شاءت حياة امرئ القيس الأولى أن يجيد وصف الخيل للطراد
والصيد شاءت حياته الثانية بعد مقتل أبيه وهمه للأخذ بالثأر أن يجيد
وصفها للنزال والحرب وإنه لما يلاحظ بين الوصفين أنه كان يعنى
ذكورها فى الصيد وإناتها فى الحرب لأن الصيد أحوج إلى القوة والعدو
وهما فى الحصان أوفى منهما فى الفرس كما أن الحرب أحوج إلى المراقبة

والمصابرة والإثبات في الخيل أصبر من الذكور لذلك نراه يقول .
وأركب في الروء خيفانة كسا وجهها سعف منتشر
لها حافر مثل قعب الوليد ركب فيه وظيف عجر
وساقان كعباهما أصمعا ن لحم حماتهما منبر
لها عجز كصفاء المسيل أبرز عنها جحاف مضر
وسالفة كسحوق الليا ن أضرم فيها الغوى الشعر
لها غدر كقرون النساء ركن في يوم ريح وصر
لها جهة كسراة المجن م حذقه الصانع المقتدر
لها منخر كوجار الضبا ع فنه تريخ إذا تنهر
لها ثن كخوافي العقاب سود يفن إذا تزبر
وعين لها حدره بدره تشق ماقيهما من آخر
إذا أقبلت قلت دبابة من الخضر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت قلت أثفية ملهة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلقها مسبطر
وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهمر
وتعدو كعدو نجاة الظبا أخطأها الخاذف المقتدر
لها وثبات كصوب السحاب فواد خطاء وواد مطر

فالخيفانة الفرس السريعة الخفيفة وقد انصرف كما رأيت يصفها
ويشبهها حتى لم يبق في الأمرين مجالا لوصف أو مشبه وقد بدأ بوصف
خالف فيه المعروف المتداول وهو كسوة وجهها بشعر ناصيتها المنتشر
كأنه السعف والمعروف تجريد الوجه وتعريقه ولذلك خطأه بعض النقاد
على أني قد أرى له في الأمر وجهها قصد إليه إذ لا يعقل أن يكون ذلك منه عن
جهل فما الأمر بخاف ولا دقيق وليس بعيد أن يكون قد أراد من هذه

الكسوة جعل هيئة الوجه مروعة مفزعة تتلاءم وجمال الروع والفرع حتى
لكانته من الفرس وجه الشجاع الكمي الذي يستره ولا يبدى سوى
العينين وأما تمادى النقاد في أن ذلك السعف قد غطى من الفرس العينين
وأعماها فهو تماد ليس عليه في قول امرئ القيس من دليل ثم انثنى بعد
هذا البدء الذي بررناه إلى جعل حافرهما في صغره واستدارته وصلابته
وملاسته كقدح الوليد وأن ذلك الكعب قد ركب فيه وظيف صلب
وهو ما بين الحافر والساق ولصلابة هذا الموطن من الفرس أثره المحمود
وإلى جعل كعبي الساقين صغيرتين في صلابة ولحم حاتيهما والحماة العضلة
قليلا مكتتزا منبترًا عن العظم وبمثل هذا الاكتناز والابتثار وصف
متنيها فجعلهما كساعدي النمر إذا أكب عليهما وما أوقع تشبيهه بعجزها
في استوائه واكتنازه وملاسته بالصفاء مكثت في المسيل طويلا ثم أبرز
عنها سيل جحاف ومن هنا أخذ يبدع في التشبيهات المتلاحقة فشبه سالفها
في الطول واللون بالطويلة من النخل يضرم فيها النيران غوى وشبه معرفتها
في ضفوها واسترسالها بذوائب النساء المعارة ركن في يوم ذي ريح وصر
وشبه جبهتها في صلابتها وانبساطها بظهر الترس صنع الحاذق المقتدر وجعل
لها وجار الضباع في سعته منخرا تريح منه وخوافي العقاب في صغرها
واسودادها ثننا إذا غضبت ينتشرن والثنن شعرات في مؤخر الرسغ
ثم جعل عينيها حادتين في استدارة كاستدارة البدر ومؤخرتين في شق ما قيمهما
إلى الأذنين وبعد هذا كله أقبل على نوع من التشبيهات في حالات فقال
إذا أقبلت كانت في طول العنق ودقة المقدم والنضارة كالقرعة المغموسة
في الغدر وإذا أدبرت كانت في استدارة مؤخرها وملاسته واجتماعه
كالأثنية الخالية من أثر فإذا ما أعرضت كانت في امتدادها وقلة لحمها
جرادة يزيد امتدادها ذيل مستطيل خلفها ثم جعلها مع هذا جميعه ذات

حرارة تخاف من أجملها السوط فلا إهابة به عليها سير كتزل البرد المنهمر وعدو
كعدو الظباء تطلب النجاة من حاذق مقتدر رمى وأخطأ وأنها في وثباتها
لتجاوز بعض البقاع غير واذعة عليها كالصيب من السحاب يسرع قواد
خطاء وواد مطر .

على أن أمراً القيس كان يجمع في بعض قصيره بين وصف الخيل
للصيد ووصفها للحرب كما فعل في لاميته :

الأعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
مخالفاً عادته السالفة من جعل الفرس للغارة والحصان للصيد ولعل
مما يشفع له في هذه المخالفة بدؤه بالجواد للصيد على الأصل واتخاذ
الفرس للغارة قبل اتخاذها للصيد وذلك حيث يقول

كأني لم أركب جواداً للذة	ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الردي ولم أقل	لخيلي كرى كرة بعد إجفال
ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحي	على هيكل نهدي الجزارة جوال
سليم الشطى عبل الشوى شنج النسا	له حجبات مشرفات على الفال
وصم صلاب ما يقين من الوجي	لغيث من الوسمى رائده خالي
تحاماه أطراف الرماح تحاميا	وجاد عليه كل أسحم هظال
بعبجلة قد أترز الجزى لهما	كئيب كأنها هراوة متوال
ذعرت بها سرباً نقيا جلوده	وأكرعه وشى البرود من الخال
فجال الصوار واتقين بقره ب	طويل الفراء والروق أخنس ذيال
كأن الصوار إذ تجهد عدوه	على جمد خيل تجول بأجلال
فعادى عداء بين ثور ونعجة	وكان عداء الوحش منى على بال
كأني بفتحاء الجناحين لقوة	صيود من العقبان طأطأت شمالا
تخطف خزان الشربة بالضحي	وقد حجرت منها ثعالب أورال
كأن قلوب الطير رطبا وبابسا	لدى وكرها العناب والحشف البالي

فانظر إليه كيف مهد لما يريد من وصف الخيل للغارة والحرب معا
بيتين فذين قارنا إلى ركوب الخيل للصيد تبطن الكعاب وإلى ركوبها
للحرب إغلاء الزقان جامعا بذلك بين أربع لذات صارت مثلاً يحمد لمن
يحتديه ويؤاخذ من يخالفه كما سنبينه آخر المقال : ولقد خرج من هذا
الاجمال إلى التفصيل يقول عن ماضيه إنه كثيراً ما شهد الخيل المغيرة
ضجى على حصان ضخم الجسم نهد العنق سليم عظم الركبة عبل الأطراف
متقبض النساء وهو عرق الفخذ مشرف عظام الوركين على لحمهما ومشرف
القطاة وهي مقعد الردف على ما حولها كأنها منه على فرخ نعام ثم هو
ذو حوافر صم صلاب لا يتأثرن من حفا . وإنه كثيراً ما اعتدى والظير
في وكناتها إلى نبت جاده السحاب الوسمى قد عز وخلا من الرواد على
فرس خمرة اللون صلبة الأعضاء أبيض العدو من لحمها حتى لا كأنها
في ذلك وفي امتداد طولها عصا منوال فذعر بها سرباً نقي الجلود يختال
بأكرع كأنها في اللون وشى البرود فجفل أمامها واتقى بثوره الأخنس
طويل القرا والذيل والقرون فلم يحده ذلك فتجهده في عدوه على الصلب
من الأرض كأنه الخيل الجائلة خفيفة بالاجلال فعادت فرسه عداً واحداً
بين ثور ونعجة فأصابتها على تهمم منه وبال وكأنه إذ نحزها بفخذها للعدو
كان منها على عقاب لينة الخناحين سريعة صيود لا تزال تخطف الذكور
من أرناب الشربة وتجتحر خوفاً منها ثعالب أورال بعد أن تعي ما بهذين
المكانين من طير فتتراكم قلوبه لدى وكرها ما بين رطب ويابس كأنها
العناب والحشف البالى . وليس بعد إبداعه في ذلك الننيه المزدوج إبداع .
هذا ويانا لمكانته بيتيه : كأنى لم أركب جواداً للذة : إلى آخرهما نقول
والفضل لا يتبين إلا على السنة النقاد . إنهم قالوا كان ينبغي أن يخالف فيهما
فيجعل كرك الخيل مع ركوب الجواد وتبطن الكعاب مع سب الزقان حتى
يقرن الجد بالجد واللهو باللهو ولعلمهم تأثروا في ذلك بقول عبد يغوث :
كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخلي كرى نفسى عن رجاليا

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لا يسار صدق أعظموا ضوء ناريا
ولكن امرأ القيس كان أشد مراعاة للائتلاف وأكثر محافظة على
شخصيته فإن التلاؤم وثيق بين تبطن الكاعب وركوب الجواد للصيد وهو
كذلك بين شراء الخمر والقتال حتى يضم إلى كل لهُو جدا فإلى تبطن الكاعب
قوة الصيد ولهذا مكاتته عند النساء وإلى شراء الخمر كره الخيل ليمتدح نفسه
بالكرم والشجاعة في آن ولقد وقع للبتني من سيف الدولة مثل هذا النقد
الظاهري فأجابه بما نصر به نفسه وانتصر فيه لامرئ القيس وأقر منه على
ما قال وذلك حيث أنشده

وقفت وما في الموت شك لو اقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلبي هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم
فأنكر عليه ذلك وقال ينبغي أن تطبق عجز الثاني على الأول وعجز الأول
على الثاني حتى لا تكون كامرئ القيس في قوله : كأنى لم أركب جوادا
للذة : البيتين : فقال أبو الطيب « أدام الله سبحانه وتعالى عز مولانا إن
صح أن الذى استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ
امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب
معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفصيله
إذ أخرجته من الغزلية إلى الثوبية وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة
الركوب للصيد وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة
الأعداء وأنا لما ذكرت الموت أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه
ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون
باكية قلت ووجهك وضاح لأجمع بين الأضداد في المعنى » فأعجب سيف
الدولة بجوابه وزاد في صلته :

وإلى هنا نقف وموعدنا العدد القادم إن شاء الله في وصف امرئ القيس

للسحاب والمطر .

السباعي السباعي بيومي

مدرس بدار العلوم

عِلْمُ التَّربِيَةِ

طريقة دكرولى

بقلم عبد الحميد حسن المفتش بوزارة المعارف

- ١ -

تستخدم هذه الطريقة في التربية والتعليم في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وما بعدها إلى سن الثامنة عشرة . وقد اتبعتها مدارس بروكسل في بلجيكا في السنوات الأربع الأولى من مدارسها .

وصاحب هذه الطريقة بلجيكي ، وهو الدكتور « اوفيد دكرولى » . ولد في رينيه في ٢٣ من يولييه سنة ١٨٧١ م وقد أحرز شهادة الطب من جامعة « غانت »

ثم ذهب إلى برلين ثم إلى باريس ليدرس على كبار العلماء وعاد بعد ذلك إلى بروكسل فعين مساعدا في المستشفى .

وفي سنة ١٩٠١ أنشأ مدرسته لذوى العاهات والضعاف من الأطفال واتبع فيها الطرق المؤسسة على أصول التربية وعلم النفس .

وفي سنة ١٩٠٧ أنشأ مدرسة للأطفال العاديين في بروكسل وهي المدرسة التي نمت فيها مبادئه ونضجت طريقته . وقد سار فيها على الأصول التي هدته إليها تجاربه . وكان شعاره الأول هو : « التعليم بممارسة الحياة نفسها » .

وفي سنة ١٩١٢ ألقى تحت رعاية الحكومة البلجيكية سلسلة محاضرات

على المعلمين لإرشادهم إلى الطرق الخاصة بتربية الشواذ من الأطفال . وبعد ذلك عين مديراً للقسم الخاص بعلم النفس الإرشادي للبهنة . وفي سنة ١٩١٣ عين أستاذاً بقسم المعلمين في بروكسل وفي السنة التالية قام مع بعض علماء التربية وغيرهم بمشروع العناية بآيتام الحرب وكان هو الرئيس لهذه الجمعية .

وفي سنة ١٩٢٠ عين في جامعة بروكسل رئيساً لقسم علم النفس الخاص بالطفل . وفي السنة التالية عين رئيساً لقسم تدبير الصحة المدرسي في الجامعة . وكان في خلال ذلك يكتب بعض المقالات في التربية وغيرها .

يتضح من هذا أن أول اتصال الدكتور دكرولى بالتربية وشؤونها كان عن طريق معالجة الأطفال الشواذ وضعاف العقول وهو في هذا يشبه مدام منتسوري . وقد مهد له هذا طريق البحث في تعليم الأطفال وتنشئتهم من الجهات الجسمية والعقلية والخلقية والمهنية .

ثم اتجهت نظرياته اتجاهها خاصا واتخذت شكلا يرمى إلى ترك الطفل « يستعد للحياة بالحياة نفسها » مع تنظيم البيئة وما فيها من بواعت للنمو الصالح . وقد أكسبته تجاربه خبرة بالنظام المدرسي ، والتعليم المشترك ، والتربية الاستقلالية ، والتعالم الذاتي ، والمناهج ، وطرق التدريس ، والنشاط الفردي والجمعي للأطفال ، وتنمية الدوافع النفسية وتوجيهها للعمل والانتاج ، إلى غير ذلك من الآراء ذات الشأن في التربية الحديثة . وقد شجعه كل هذا على أن ينشئ مدرسته للأطفال العاديين حينما اقترح عليه ذلك بعض مواطنيه .

وكان لبعض المعلمات الفضل في تنشيط طريقة دكرولى وتنفيذها في مدارس كثيرة . وأنشئت جمعية لأنصار هذه الطريقة كان غرضها نشر الطرق الحديثة في التربية والعمل على تطبيقها .

أنشئت بعد لك مدرسة أخرى على هذا النمط غير أن الحرب العظمى قللت عدد تلاميذها بسبب هجرة الأهالي من بلجيكا التي كانت ميداناً غنياً للحرب ولذا أغلقت هذه المدرسة . وكادت المدرسة الأولى تتدهور أمام هذه الظروف ولكنها ثبتت وتخطت العقبات بسلام .

وفي سنة ١٩١٧ كونت جمعية من أولياء أمور الأطفال برياسة الدكتور دكرولى كانت تجتمع كل شهر للبحث في المدرسة وشؤونها وحال تلاميذها .

وظلت المدرسة إلى سنة ١٩٢٠ وهي معتمدة على مواردها الخاصة الداخلية . ثم إن الحكومة البلجيكية أمدتها بأعانة مالية .

وقد نشطت هذه الطريقة وعمت في بعض المدارس في بلجيكا وأخذت تشق طريقها وثبتت دعائمها بين الطرق الحديثة للتربية والتعليم فصادفت النجاح .

سارت هذه الطريقة كما سار غيرها من الطرق الحديثة بخطوات ثابتة ، يملأ أصحابها وأتباعهم اليقين ، وهم مسلحون بالقواعد وبالتجارب وغايتهم أن يضعوا حداً للنظم القديمة والتقاليد العتيقة التي لا تزال بقاياها كأغلال تقيد التعليم وتقف به وتجعله بمعزل عن الحياة الصحيحة .

وبعد ، فما اعتراضنا وما مخاوفنا من طرق حديثة أيديتها التجارب العملية والنظريات العلمية التي يؤمن بها جميع المربين والباحثين في شؤون التعليم الآن ؟ لعل السبب هو أن ترك القديم عسير . ولكن إن ساغ لنا أن نحمد أمام التجديد وأن نتمسك بالقديم في بعض شؤون حياتنا فلا يسوغ

لنا ذلك فى تكوين العقول وتنشئة بنى الانسان وإعداد الأجيال الحاضرة والقادمة للحياة الصحيحة .

وسنشرح فيما يلى أصول طريقة دكرولى ومظاهرها العملية .

(أصول طريقة دكرولى)

نحمل هذه الأصول فيما يأتى :

- (١) المدرسة حياة .
- (٢) النشاط الذاتى للأطفال .
- (٣) طرق الوصول إلى الحقائق .
- (٤) المناهج .
- (٥) مراكز الميول .
- (٦) الأساليب الثلاثة للنشاط الذاتى .
- (٧) النظام المدرسى والحياة الاجتماعية .

المدرسة حياة

وهذا الأصل من الفروق الواضحة بين المدارس قديما وحديثا : فلقد كانت المدارس فيما مضى بغية إلى قلوب الأطفال ، لبعدها عن حياتهم ، وإهمالها نشاطهم الذاتى وما يثير شوقهم ، ولأنها كانت أشبه بسجون تحصر فيها العقول وتقيّد الجسوم ، وكان هم القائمين بالتعليم حشو الأذهان بالحقائق التى يفرضون على الأطفال التهامها والإحاطة بألفاظها وكد الذهن فى استظهار كثير منها .

ولكن المربين الحديثين نظروا إلى المدارس نظرة تقربها إلى الحياة وتجعل الغرض منها هو الإعداد للحياة ، أو هو الحياة نفسها . ولهذا جعلوا

المدارس موافقة لميول الأطفال مغذية لنشاطهم وغزائهم ، وبذلك يشعر الطفل بأنه ليس في مدرسة بل في حياة عاملة نشيطة موافقة لميوله .
فالمدرسة الحديثة إذن ليست سجنا بل هي الحياة التي يحبها كل إنسان .
ولا شك أن الحياة هي التي تعلم الحياة وتعد للحياة .

ويظهر أن التربية في بعض تصورها الأولى قبل إنشاء المدارس كانت أقرب إلى النظام الطبيعي النافع ، فإن الولد كان يتعلم بممارسة الحياة ومباشرة شؤونها العملية مع أبيه ، والبنت كانت تتعلم بمشاركة أمها في أعمال المنزل .

وهذا النوع من التعليم إن هو إلا صورة مما سيعمل الناشئ في المستقبل ، وبعبارة أخرى : كانت المدرسة هي الحياة نفسها ، وهذه هي الفكرة الحديثة يسعى المربون لتحقيقها في المدارس الحالية ، على ما هنالك من تفاوت بين القديم والحديث .

وحين تحولت الأفكار عن هذا النظام إلى نظام المدارس ، أو إرسال الأطفال إلى معاهد خاصة تتولى تنشئتهم ، تبدلت الحال ، وتنوسى الغرض الأساسى من التعليم ، وبعدت المسافة بين المدرسة والحياة ، وانفجرت مسافة الخلف بتقادم الزمن ، حتى أصبحت الصلة بعيدة بين المدرسة وما أنشئت له ، وهو الاعداد للحياة ، أو هو الحياة نفسها . وزادت الهوة حتى أصبح التعليم سطحيا لا يعدو الألفاظ وقراءتها واستظهارها .

وقد فطن بعض المربين في القرن الثامن عشر وما بعده إلى أن التعليم اللفظي قليل الجدوى في الحياة الصحيحة العاملة ، فقاوموا هذا وبالغوا في المقاومة حتى رأى بعضهم ، مثل « روسو » و « بستا لوتزى » ، عدم استخدام الكتب في المراحل الأولى للتعليم . ولعل وجهة نظرهم كانت

محاربة هذا الاتجاه الضار بالتعليم وهو التعليم اللفظي الذي قضى على التعليم العملي الحيوى الذى ينبغى أن تحققه المدارس .

ولقد غنى المربون الحديثون ومنهم دكرولى بجعل المدرسة صورة من الحياة تتوافر فيها مظاهر الحياة النامية للانسان والحيوان والنبات ومشاهد الطبيعة التى يتصل بها الأطفال اتصالاً يكسبهم التجارب النافعة . وما يساعد على تحقيق هذا أن تكون المدرسة فى بيئة طبيعية مزودة بجداول لأنواع النبات ، وحظائر للدواجن ، ومظاهر من الحياة المحيطة بالأطفال . وبذلك يتحقق الغرض المنشود من المدارس ويمكن جعل حياة الأطفال حياة عملية تجريبية تكون صورة من الحياة المعاملة المحيطة بهم . وفى هذا خير وسيلة للإعداد للحياة .

النشاط الذاتى

يظن بعضهم أن مهمة المعلم هى أن يلقى الألفاظ على الأسماع أو أن يعمل بنفسه أمام الأنظار كالممثل ولا يكون للتعليم عمل سوى أن تقرر الألفاظ أسماعهم وتمر المناظر أمام أعينهم دون أن يشتركوا اشتراكاً عملياً أو أن يستخدموا نشاطهم النامى فى الوصول إلى الحقائق أو معالجتها بأنفسهم .

وهذا أسلوب من التعليم قديم وهو الذى حاربه « روسو » حينما تعرض للتربية السلبية والتربية الايجابية فقد نادى بأن تكون التربية سلبية من جانب المعلم بمعنى أن يكون المعلم مرشداً ، وأن يترك للطفل المجال واسعاً للعمل والنشاط ، فالمعلم موقفه سلبى والتلميذ موقفه إيجابى عملى . أما الأسلوب الايجابى فهو الذى استنكره « روسو » ويكون المعلم فيه هو القائم بكل شئ ، فهو الذى يلقى الحقائق وهو الذى يعمل بنفسه . فهو إيجابى يعمل كل شئ والتلميذ سلبى لا يعمل شيئاً وهو فى هذه الحالة كلوح

التصوير الذي يتقبل الألوان والأصباغ التي تفرزها ريشة المصور .
وهذا الأسلوب هو الذي تحاربه التربية الحديثة وتحاول أن تجعل
مكانه أسلوباً يستخدم نشاط الطفل ويمرنه في مجال فسيح ، فإن عمل الطفل
بنفسه هو الذي يكونه التكوين الصحيح .

فينبغي أن يكون النشاط الذاتي للطفل محوراً للتعليم ، وأن يكون
الطفل نفسه مركز هذا النشاط : وذلك بأن نجعله يلاحظ بنفسه ، ويعبر
بنفسه ، ويربط الحقائق الحاضرة بالماضية بنفسه ، ويبحث في أجهزته
الجسمية والعقلية وفي مطالبه وحاجاته لكي يعرف نفسه وما لبني جنسه
عليه من فضل وما للبيئة من مآثر . وبهذا يستطيع في المستقبل أن يكافح
ويتصل بالحياة الصحيحة وينتفع بما يحيط به ، ويكون التعليم قد أوصله
إلى فهم نفسه وفهم بيئته وأعدده للاتصال بها اتصالاً عملياً مباشراً . وهذا
من أهم أسرار النجاح في الحياة العملية التي ننشدها ، ومن أعظم الغايات
التي يجب أن تنشدها المدرسة وتسعى لتحقيقها .

ولا ننسى أن دراسة الطفل لمطالبه تستلزم دراسة البيئة المحيطة به
وتصل به أيضاً إلى أن يعرف الوسائل التي يحقق بها هذه المطالب .
فدراسة الفرد لمطالبه تعرفه الحياة العملية الصحيحة .

وتحقيق هذه المطالب يراعى فيه أن يسير في ضوء ما يأتي :

(١) الفوائد التي يسعى بنو الإنسان لاجتائها والوسائل التي تحققها .

(٢) العقبات والصعاب التي تعترض ذلك ووسائل التغلب عليها .

(٣) ما يجب على الفرد عمله بناء على ماتقدم وما هو ضروري لمصلحته

ومصلحة غيره .

ومن هذا نرى أن الارتفاع بالنشاط الذاتي للطفل وتوجيهه في طريقه
الصحيح يصل به إلى أن يسعى سعياً عملياً لتحقيق مطالبه وللنظر في شؤون
الحياة نظراً متجاً .

طرق التحصيل والوصول إلى الحقائق

علمنا أن النشاط الذاتي للطفل هو دعامة من الدعائم القوية التي نركز عليها في تعليمه وتربيته وإفادته وإرشاده إلى الحياة العاملة .

وتوجيه النشاط للوصول إلى الحقائق يسير في طريقتين أصليتين يتفرع ثانيتهما إلى فروع ثلاثة :

(أ) الطريقة المباشرة : وهي استخدام التجارب الشخصية استخداما مباشرا واستعمال الحواس والملاحظة للوصول إلى المعلومات

(ب) الطريقة غير المباشرة : وهي ترجع إلى ما يأتي :

(١) استعادة التجارب السابقة التي حصل عليها الإنسان من قبل وتذكر المعلومات الماضية لمعالجتها والبحث فيها بحثا يصل إلى نتائج .

(٢) البحث في المصادر الخاصة بالحقائق الحاضرة والحوادث الجارية مما دونه غيرنا أو سطره التاريخ الحاضر ولا يصل إليه الإنسان بطريقة مباشرة

(٣) البحث في المصادر الخاصة بالحوادث والحقائق الماضية .

فهذه الأنواع الثلاثة هي مصادر غير مباشرة للوصول إلى الحقائق والمعلومات . والإنسان فيها يعتمد على الاستدكار أو على النظر فيما أعده غيره أو أثبتته .

والطريقتان المباشرة وغير المباشرة ترجعان إلى أصليين وهما :

(١) الملاحظة : وهي الطريقة التجريبية المباشرة للوصول إلى الحقائق

(٢) الربط : ويندرج تحته تحصيل الحقائق بطرق غير مباشرة كما أشير إلى ذلك

(٣) ويتصل بهذين أصل ثالث وهو التعبير بشعبيه اللفظية والحسية وتكون المراحل في الوصول إلى الحقائق هي :

(١) الإدراك الحسي

(٢) التفكير والربط والموازنة

(٣) التعبير

أو بعبارة أخرى :

(١) التجارب الحسية المنبعثة عن الشوق

(٢) تكميل هذه التجارب بالربط والموازنة

(٣) إيضاح ما يصل إليه الانسان

وعلى هذا قسم الدكتور دكرولى أعمال المدرسة ووجوه النشاط الذاتى التى تنبغى إثارتها وتغذيتها إلى :

(١) الملاحظة

(٢) الربط لزمانى والمكانى

(٣) التعبير الحسى : كالرسم وعمل النماذج من الصلصال وطحى الورق وغير ذلك من أنواع الأعمال اليدوية

(٤) التعبير اللغوى : كالقراءة والكتابة والانشاء وما يتصل بفروع اللغة وقد تلمح فى هذه الأقسام أنها تشبه إلى حد ما الطريقة الاستقرائية التى تبدأ بالبحث ثم تتبع بالربط وبالتطبيق والانتفاع بالقواعد والقضايا العامة انتفاعا عمليا . وهى فى جوهرها ترمى إلى جعل وسائل البحث مرتكزة على العمل الشخصى وعلى التجارب العملية .

وقد تكون الفرص لتحقيق الأشياء الأربعة السابقة ميسورة إلى حد ما فى المدارس بنظامها السائد الآن فى مناهجها من المواد ما لو حقق الغرض الصحيح منه لكان منبعاً للتربية المتمشية مع المبادئ الحديثة : فدروس الأشياء ومشاهد الطبيعة إذا أحكم اختيار منهجها قد تكون وسيلة لادداد الطفل بالتجارب المباشرة المقرونة بالملاحظة ، ودروس التاريخ والجغرافيا تحقق الربط الزمانى والمكانى ، ودروس الأشغال اليدوية

تكفل التعبير الحسى ، ودروس اللغة بفروعها فيها مجال للتعبير اللفظى :
نقول إن الفرص لتحقيق هذه الأشياء قد تكون ميسورة فى مدارسنا
الحاضرة غير أن الفرق الأساسى بين هذه المدارس وبين ما يسعى دكرولى
لتحقيقه فى مدارسها هو أن العناية بهذه الأشياء الأربعة ليست متعادلة فى
مدارسنا ، ووجهة النظر إلى قيمة كل منها تختلف عن وجهة نظر دكرولى
إليها ، وليست هناك مراعاة لما بينها وبين النظام الفكرى للطفل من صلة
فمجرد وجود المواد الدراسية التى تتصل بالملاحظة لا يفيد أن الملاحظة
وجعل الدراسة مبنية على التجارب الشخصية المباشرة قد نالت حظا .

فألسر إذن ليس فى المواد والمباحث والموضوعات واشتغال المنهج
عليها بل فى وجهة النظر إليها وفى الغايات المنشودة منها والأغراض التى
تحقق فى خلال معالجتها .

وهذا هو الذى يمتاز به نظام دكرولى فى مدارسها وهو الذى يمتاز به
التربية الحديثة . فقد تختار مدارسنا الحالية طائفة من الموضوعات فى
الأشياء ومشاهد الطبيعة لا تكون على الأساس الذى يراه دكرولى فى اختيار
المناهج ، وقد تختار هذه الموضوعات على الأساس الصحيح ولكن معالجتها
وطريقة العناية بها لا تحقق الغرض المنشود . فألسر إذن ليس فى الشكليات
بل فى الغايات ووسائل تحقيقها والروح التى يسير بها العمل المدرسى .
ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن الدكتور دكرولى يدخل الحساب تحت
الملاحظة وموضوعاتها ، وهو لا ينظر إلى القراءة والتهجى كأنها فروع
قائمة بذاتها تعالج معالجة خاصة فى السنوات الأولى من المدارس وإنما
يعتبرها جزءاً من التجارب التى نمد بها الطفل فى خلال دراسة المراكز
المختلفة لليول التى يدور المنهج حولها كما سيتضح ذلك فيما بعد

المناهج

المدرسة حياة والطفل محور هذه الحياة ومحور حياة الطفل نشاطه الذاتي وميوله وشوقه فلتكن المناهج نابعة من الحياة مرتكزة حول الطفل مغذية لمطالبه وشوقه ونشاطه، ولهذا ينبغي أن يتوافر فيها ما يأتي :

(١) أن تكون بمثابة للبيئة الطبيعية والاجتماعية ذات صلة بالكائنات الحية عامة وبالانسان خاصة مشتملة على مظاهر الحياة الاجتماعية التي يدركها الطفل

(٢) أن تكون متمشية مع حياة الطفل موافقة لميوله مغذية لنشاطه الذاتي منمية لملاحظته محققة لمطالبه

(٣) أن توضح ما بين الفرد والبيئة من تعاون واتصال وأثر كل منهما في الآخر

(٤) أن تبين مدى ارتفاع الفرد بالبيئة المحيطة به

(٥) أن تعرف الطفل الوسائل العملية التي تحقق مطالبه

(٦) أن تكون متماسكة مكونة وحدة مرتكزة حول محور واحد هو مركز الميل أو حول مراكز متعددة لليول كما ستراه موضحا .

هذه هي مجمل القواعد التي تتجلى في آراء دكرولى ومدارسه وهي تكفل اجتناب ما يوجهه كثيرون إلى المناهج الآن من المعاييب التي منها .

(١) ليس في المناهج الحالية في كثير من المدارس ربط بين وجوه النشاط المختلفة وان وجد شيء من هذا فهو ضئيل قليل الجدوى .

(٢) الموضوعات التي تدرس قليلة الصلة بشوق الأطفال وميولهم ونشاطهم الذاتي ومسراتهم المتدرجة .

(٣) تقسيم موضوعات الدراسة إلى شعب ومواد منفصلة يعالج كل

منها معالجة مستقلة وفي هذا بعد عن النظام الفكري الذي يسير عليه
الأطفال بفطرتهم

(٤) أكثر موضوعات الدراسة أرقى مما يستطيع الأطفال هضمه
أو فهمه أو حفظه

(٥) الاهتمام الكثير بالمواد النظرية التي تعلم بالتلقين اللفظي
والاستظهار ، ولا تثير تفكيراً ولا تنمي مقدرة

(٦) ضيق المجال أمام الأطفال للابتكار والنشاط الفردي
هذه هي معائب تحاول التربية الحديثة أن تقضى عليها وقد رأيت في
المبادئ التي يراها دكرولى في المناهج وغيرها ما يسير بالتعليم في اتجاه يجعله
بمنجاة منها . وسترى فيما يأتى أيضاً ما يزيدك اقتناعاً .

منهج الحقائق المرتبطة

ترتكز المناهج على محور أساسى هو الفرد وتدور في ميدان هو البيئة ،
وهذا يكفل بطبيعة الحال ارتباطها وتماسكها . وذلك هو ما استرشد به
دكرولى في تخير المناهج لكي يضمن ارتباطها .

فلمنهج إذن يشمل (١) دراسة الكائنات الحية عامة والإنسان
خاصة (٢) دراسة البيئة الطبيعية والاجتماعية

وقد يجول بالخاطر ان هذه مباحث وعرة المسلك وان دراستها قد
تعترضها صعاب من أسرار معقدة في البيئة والإنسان وأعماله . ولكننا
نقول ان الوصول الى ذلك سيكون من طرق سهلة قريبة الى حياة الطفل
وذلك بدراسة الفرد وأعماله وأعمال المجتمع

فالفرد مثلاً عليه واجبات لنفسه فهو يحتاج الى الغذاء والى الوقاية
من الحر والبرد والى حماية نفسه من الاعداء والى حفظ حياته . وعليه

أيضا واجبات للمجتمع بأن يخدم أسرته وينفع المجتمع الذي يعيش فيه .
ولتقريب ذلك من فهم الطفل قسم ذكرولى المطالب الأولية التى لها
أثر فى المجتمع الى :

الحاجة الى الغذاء والهواء والنظافة

» » وقاية الفرد من تقلبات الطبيعة

» » حماية النفس من المخاطر والاعداء من جميع الأنواع

» » النشاط والعمل والرياضة والنمو والراحة والضوء

ودراسة كل هذا معناه دراسة ما فى البيئة ويستتبع هذا أيضا دراسة
الأسرة والمدرسة والمجتمع والكائنات الحية والارتباط بين الفرد والبيئة
من هذا نرى أن المنهج يسير سيرا طبيعيا متماسكا دائرا حول الطفل
وبيئته ، وموضوعات الدراسة عبارة عن بحث متصل .
ومما يزيد التماسك بين موضوعات المنهج ويربطها ربطا تاما أن نراعى
صلتها بمراكز الميول كما سترى بعد .

مراكز الميول

لتركيز مناهج الدراسة حول الميول طريقتان

- (١) أن تتخير عدة مراكز للميول كل مركز يمثل مبحث خاص وتدور
الدراسة حول هذه المراكز على التعاقب على حسب الفصول الزمنية
وما يلائمها ويستغرق كل مركز فترة من العام الدراسى .
- (٢) أن تتخير مركزا واحدا يمثل مبحث موضوع واحد تدور المباحث
حوله طول العام الدراسى .

وكانت الطريقة الأولى هى المتبعة فى جميع سنى الدراسة ، وفى سنة ١٩٢١
بدأ الدكتور ذكرولى بعد تجارب كثيرة يجعل المنهج ابتداء من السنة الثالثة

دائرا حول مركز واحد للبول وكان في كل سنة يستخدم مطلبا من المطالب الأربعة الأساسية للفرد وهي .

(١) الغذاء

(٢) الوقاية من عوارض الطبيعة وطوارئها ويدخل تحت هذا المساكين والملابس

(٣) حماية النفس من الإعداء والمخاطر

(٤) العمل والحاجة الى النشاط

والموضوعات التي تختار على كلتا الطريقتين ينبغي أن يراعى في معالجتها صلتها بالفرد ومطالبه وبالبيئة المنزلية والمدرسية والاجتماعية والطبيعية بما فيها من حيوان ونبات ومعادن ومظاهر كونية

أما طريقة السير في تدريس هذه المباحث فإنها تسير تبعا للأساليب الثلاثة للنشاط الذاتي التي يستخدمها الدكتور ذكرولى وهي

الملاحظة والربط والتعبير

وستشرح هذا فيما يلي

الملاحظة

يقول الأستاذ « ديوى » في كتابه « كيف تفكر » ان السبب في أن دروس الملاحظة في المدارس قليلة الجدوى هو أنها لا توجه نحو غاية منشودة وليس لها غرض أو مشكلة تكون الملاحظة وسيلة لحلها وتذليلها . فمن الخطأ أن تعتبر الملاحظة غاية في ذاتها فان العلماء الذين يبحثون وراء المعضلات وحلها لا يقصدون الى الملاحظة في ذاتها، وإنما يتخذون منها وسيلة للوصول الى غايات علمية وعقلية

ومراعاة هذا الأساس هو الذي يجعل الملاحظة مجدية مفيدة وإهماله

يجعلها عملاً جافاً خالياً من الفائدة لا ينتج إلا مهارة صماء آلية وعلى هذا الأساس الذي يرسمه «ديوى» يجدر بنا في دروس الملاحظة أن نجعلها مقرونة بوجهة أساسية وهي أن يكون أمام التلميذ مشكلة أو معضلة يتخذ الملاحظة وسيلة لحلها وتذليلها

والى جانب هذا ينبغي أن ترمى دروس الملاحظة الى تحقيق ما يأتى :
(١) تعويد الطفل التفكير فيما حوله من مشاهد الطبيعة وظواهرها تفكيراً أساسه النظر فى المقدمات وفى الأسباب للوصول الى النتائج والغايات .

(٢) تفهيمه حقائق الحياة وتقريبها الى ذهنه بالوسائل الحسية الموافقة لمقدرته العقلية .

(٣) إلمامه بحياة الكائنات النامية من حيوان ونبات وتفهمه الحقائق المتصلة بشخصه .

(٤) تمرينه على أن يدون بنفسه ما يصل اليه من الحقائق فى كتابه الخاص وسنشير اليه فيما بعد .
ولتمرين الملاحظة منبعان

(الأول) الملاحظة التى تبنى عرضاً فى الأوقات المختلفة فى خلال الحياة المدرسية وأعمالها وذلك بلفت نظر الطفل الى المشاهدات والحقائق فى النواحي الآتية :

(١) ملاحظة النباتات التى تستنبت فى المدرسة والانتباه اليها كل صباح لمعرفة نموها وتغيراتها من جميع النواحي

(٢) ملاحظة الدواجن التى تقتنىها المدرسة لمعرفة حياتها وعاداتها ونموها وتفرخها وغير ذلك

(٣) ملاحظة الظواهر والتغيرات الطبيعية كتغير أوضاع الشمس واتجاه

الظل وتعاقب الفصول والأمطار والرياح والعواصف ودرجات الحرارة والرطوبة وغير ذلك)

(٤) ملاحظة ما يحضره التلاميذ وما يجمعونه في رحلاتهم من المواد والأشياء وتقسيم كل ذلك الى فصائل وأنواع

(الثنائي) الملاحظة الخاصة المتصلة بالمناهج وبالدروس المرتبطة بمراكز الميول المختلفة التي تدور حولها الدراسة

والطريقة التي تتبع في معالجة هذه الدروس تسير في المراحل الآتية :

(المرحلة الأولى) وهي المرحلة الإعدادية . ومحور السير فيها هو الأسئلة التي يحكم المعلم صوغها ويجيد ترتيبها لكي يصل بذلك الى عقل الطفل ويزن معلوماته . ويجدر بالمعلم هنا أن يفسح المجال للطفل ويوسع له ميدان الحرية لكي يعبر عما نفسه وبذلك يتمكن المعلم من اصلاح ما عسى أن يوجد من خطأ في معلومات الأطفال ويكمل ما يرى فيها من نقص ويمهد السبيل لربط الحقائق الجديدة بما درس الطفل من قبل أو بما هو معهود له من تجاربه الخاصة ومشاهداته الشخصية

(المرحلة الثانية) وهي المرحلة الاستنباطية ويعمل المعلم فيها على جعل الحقائق القديمة والجديدة سلسلة مرتبطة متصلة الحلقات .

والخطوات التي تتبع هنا هي :

(١) أن نجعل الطفل يستخدم حواسه وتجاربه الشخصية للوصول

الى الحقائق

(٢) ننقل به الى الموازنة وتميز وجوه الشبه والخلاف بين الحقائق

(٣) ثم نعالج الحقائق معالجة منطقية تحليلية وتركيبية حتى يصل الطفل

الى القواعد العامة

وهذه الخطوة الأخيرة هي الميدان الفسيح للتمرين على التفكير المنظم

والتعليل والحكم ، وهى التى تمكن الطفل من هضم الحقائق والانتفاع بها والقدرة على استخدامها استخداما تطبيقيا . والعناية بها تزيد الفائدة التعليمية والعقلية

ومما يجب أن تقترن به هذه المرحلة أن يعبر الطفل عما يصل اليه من النتائج والحقائق والقواعد بالرسم أو بالتلخيص الكتابي مع تدوين ذلك فى كتابه الخاص

(المرحلة الثالثة) وهى المرحلة التطبيقية :

ويقوم الطفل فيها بالتطبيق التصويرى أو الأنشائى بكتابة موضوعات مختلفة . وبتطبيق ما عرف على شؤون الحياة اليومية الخارجية والمدرسية . وان السير بالتليذ فى المراحل السابقة لا يدع مجالا للشك فى أنه قد هضم المعلومات هضمًا تاما يجعله قادرا على استخدامها والانتفاع بها انتفاعا عمليا صحيحا

وعلى المعلم واجب فى هذا الصدد وهو أن يرتب مادة الدرس ترتيبا متماسكا متسلسلا حتى تكون ملاحظة الطفل للحقائق والظواهر سائرة على نظام مرتب متماسك والوسيلة لذلك هى :

(١) أن يبدأ المعلم بتمهيد الطريق للتلاميذ لكي يشاهدوا الحقائق ويعالجوها معالجة يستخدمون فيها حواسهم

(٢) ثم يوسع الميدان ليتسع تمرين الحواس

(٣) ثم ينتقل الى التجارب الكثيرة التى تجعل الحقائق أدق وأوضح

الحساب والقياس

ليست الملاحظة التى أشرنا إليها مجرد الإدراك الحسى فهى كما رأيت تتضمن كثيرا من الأعمال العقلية ذات الشأن كالموازنة بين الأشياء ومعرفة ما بينها من فروق ومدى هذه الفروق وما هنالك من ارتباط مكاني

أو زمانى بين الحقائق إلى غير ذلك . وعلى الجملة تتضمن الملاحظة إيجاد صلة وثيقة بين عقولنا وما يحيط بنا .

والملاحظة الصحيحة تتطلب غذاء وهضم لهذا الغذاء وباعثاً من التشويق والميول أى أنه ينبغي لتمرين الملاحظة تحقيق ما يأتى : —

(١) إعداد المواد الأولية التى تمرن عليها الملاحظة ويتغذى بها العقل وهى المحسوسات والحقائق المتصلة بالطبيعة ومظاهرها

(٢) اتصال الطفل بهذه الحقائق اتصالاً عملياً مباشراً يمكنه من هضم هذا الغذاء العقلى

(٣) إيقاظ شوق الطفل فالشوق هو الدافع إلى البحث .

وان الحقائق لا تهضم إلا إذا اتجه إليها العقل اتجاهاً مبعثه الرغبة والشعور بالفائدة الذاتية

ويجدر بنا بصدد التشويق أن نلاحظ حقيقة ذات شأن وهى أن مشوقات الأطفال تخالف مشوقات الكبار ، وما يثير شوق الكبار ليس ضرورياً أن يثير شوق الأطفال وكذلك العكس ، فشوق الأطفال وميلهم له اتجاه خاص . ومن الخطأ أن نقيس ميول الأطفال ومثيرات شوقهم بما نحس من ذلك فى أنفسنا فللأطفال عالمهم الخاص ودينامهم العقلية التى يسبحون فى ميادينها .

ولهذا يجب على المعلم أن يدرس مشوقات الأطفال دراسة وافية ، وأن يعرف ميولهم ونزعاتهم النفسية وغرائزهم وما فى عقولهم من معلومات ، وأن يعد العدة لكل ذلك حتى يتمكن من مسيرة العقول وإفادة المتعلمين . ومشوقات الأطفال ليست بعيدة المنال أو متعاصية على المعالجة فان فى مظاهر الطبيعة وشؤون الحياة اليومية تياراً متدفقا وغذاء صالحاً للملاحظة ، وإذا اتجهت رغبة الطفل إلى شئ من ذلك رأيت باحثاً ناشطاً يوازن ويستنبط ويميز بين الأشباه والنظائر ويتقدر الأشياء تقديرأ حسابيا

وهندسياً يفرق به بين الكبير والصغير والقليل والكثير ويوازن بين الأبعاد المختلفة للأجسام ويدرك الفروق بينها عدداً ووزناً ومساحة وحجماً إلى غير ذلك .

ومن هذا نرى أن دروس الملاحظة على النظام الذى شرحناه هي ميدان واسع للحساب وللقياس الهندسى وللتمرين الرياضى المتشعب النواحي . ومن أجل هذا يدخل الدكتور ذكرولى الحساب والعد والقياس الهندسى تحت دروس الملاحظة كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم .

ففي النباتات التى يزرعها الأطفال يمكن أن نجول جولات حسابية وهندسية كثيرة وذلك بأن يقيس الأطفال نموها وزيادة أوراقها وطول ساقها ، ويقدرّون ما تمتص من ماء كل يوم ، ويوازنون بين درجة نمو الأنواع المختلفة للنبات .

وفي الحيوان يستطيعون أن يقدرّوا نمو حيوان خاص من الدواجن التى يتعهدونها فى المدرسة كالأرنب مثلاً بوزنه كل يوم . ولسنا فى حاجة إلى أن نستخدم فى أول الأمر وحدات القياس الاصطلاحية الدقيقة بل يكفي أن يستخدم الأطفال وحدات عرفية يتفق عليها كأيديهم وأقدامهم وأصابعهم ، ثم يتدرجون إلى استخدام وحدات أخرى من الفواكه أو البندق أو الجوز أو البيض ، ويمكن أن ينظموا من بعض هذه الوحدات عقوداً مختلفة من ١٠ إلى ١٠٠ ويعدون فى هذه العقود العشرات كما كانوا يعدون الوحدات ثم يتدرجون فيعدون المئات كما كانوا يستخدمون العشرات .

ولهذا التمرين فائدة فى التدرج بالتلاميذ إلى فهم القيم النسبية للأرقام فى أحوالها المختلفة فى الأحاد والعشرات والمئات .

وفى قياس الحجم نستخدم أيضاً مقاييس طبيعية كالملاعق والكيزان والدلاء وغير ذلك من الأدوات .

ويراعى أن ليس الغرض هو الوصول إلى طرق فنية في التقدير والقياس بل المقصود هو تدريب التلاميذ على الحكم المنطقي الصحيح والموازنة بين الأشياء وتقديرها والاتجاه إلى القياس لجعل هذا الحكم دقيقاً .

بعد كل هذا نستطيع في الفرص المناسبة أن نتدرج إلى استخدام الموازين والمقاييس والمكاييل الاصطلاحية المعروفة

هذا ومن أنواع التقدير والقياس أيضاً التقدير الزمني وذلك باستخدام ساعة المدرسة وتمارين التلاميذ على تقدير الزمن اللازم للشئون الحيوية المختلفة .

نسير في كل هذا على أساس العمل الذاتي فيقوم الطفل بنفسه بالقياس والوزن والعد وغير ذلك حتى لا يكون الحساب تلقيناً بل استنباطاً مرتكزاً على أساس من التجارب الشخصية .

ومما يجدر بنا ملاحظته أننا لا نتعرض للكسور بل نترك ذلك إلى أن يتجه عقل الطفل بنفسه إلى الرغبة في دقة التقدير والقياس ويكون حينئذ قد نمي عقله وارتقت مداركه وازدادت مهارته . ويراعى ذلك أيضاً في جميع القواعد الحسابية فلا يدرس الطفل قاعدة إلا إذا أحس الحاجة إليها وشعر بأنها متصلة بحياته واستطاع استخدامها في مسائل يمكنه كشفها بنفسه وبتجاربه الخاصة .

ويجدر بنا أن نوجه نظر الطفل إلى أن الأشياء التي يقع عليها نظره ويجمعها ويعالجها في المدرسة وخارجها لها خواص كثيرة يمكن قياسها أيضاً ، وذلك كالصلابة والمرونة وقبول الطرق والانصهار والذوبان ودرجة الحرارة والكثافة والمسامية وغير ذلك من خواص المادة . وأسهل الوسائل لتقدير هذه الفروق أن يرتب الطفل الأشياء على حسب درجاتها في هذه الخواص .

هذا والألعاب لها مجال واسع في كل ما تقدم من عمليات العدو والقياس ويستطيع المعلم استخدامها على حسب ما يوافق ميول الأطفال ونشاطهم

الرجل والمرأة

٢

بقلم الأستاذ حامد عبد القادر
وكيل كلية أصول الدين

البنون والبنات في ميدان الحياة المدرسية

- ٥ -

تكلمنا في العدد السابق كلاماً إجمالياً عن الفروق الجنسية الجسمية ،
والعقلية والخلقية العامة ، وفي هذا العدد تتصدى لبحث موضوع شائق
شأنك ، طالما اختلف فيه العلماء ، وتضاربت فيه الآراء ، وخاضت في بحثه
أقلام الأدباء في عصرنا هذا ، ذلك هو الموازنة بين البنين والبنات من
ناحية الذكاء أو المقدرة العقلية . وبعبارة أخرى نريد في هذا المقال أن
نبين للقارئ ما إذا كان استعداد الولد لكسب العلوم والمعارف وتعلم
المواد الدراسية على اختلافها أرقى من استعداد البنت أو دونه أو مساوياً له .
وإنما قلنا « في عصرنا » لأن الموضوع الذي نحن بصدد بحثه لم يكن
موضوع جدل ونزاع جدى بين العلماء في العصور الغابرة ؛ إذ قد كان
من المسلم به في تلك العصور أن مقدرة المرأة العقلية لا يمكن أن تضاهى
بمقدرة الرجل ، وأن الصبية ليست شيئاً يذكر بجانب الصبي .

ولا يكاد أحد منا يجهل آراء روسو - المربي الفرنسي الشهير - في
طبيعة المرأة العقلية ، ومنزلتها في المجتمع ، وقيمتها بالنسبة للرجل ،
وما يجب أن تتعلمه من المواد وما لا يجوز .

- ٦ -

أما في العصر الحاضر فقد تبدلت الحال غير الحال ، وبرزت المرأة في كثير من ميادين الحياة الخارجية ، وهبتت تطالب بحقوقها ، وتبرهن على كفايتها العلمية ومهارتها العملية . وقد بلغت في المباهاة بمقدرتها حداً جعل المدافعين عنها يدعون أنها إن لم تفق الرجل فليست بأقل منه في الاستعداد للقيام بأي عمل يقوم به . يقول هؤلاء في التدليل على آرائهم : أليس من النساء المبرزات في عالم العلم والأدب ؟ أليس منهن من وقفن مع الرجال جنباً لجنب أمام منصة القضاء للدفاع والمقاضاة ؟ أليس منهن الطائرات الفائقات ، والسياسيات المحنكات ، والمعلمات البارعات ، والطبيبات الماهرات ؟ أليس منهن من يدرن المحال التجارية والصناعية العظمى بدقة وقوة وعزيمة ؟ ألم يقم بعضهن إبان الحرب الكبرى الماضية بالمدفعات ، كقيادة السيارات العامة ، والمركبات الكهربائية ، وإعداد الذخائر ، والتجسس ، ومعالجة المرضى ، وأسو الجرحى بكل حذق وجد ؟ ثم ألم نسمع أن نتيجة الامتحانات العامة في مدارس البنات خير منها في مدارس البنين ؟

- ٧ -

كل هذه الأعمال التي لم يكن من المنتظر وقوعها من المرأة جعلتها تغير رأيها في نفسها ، وأخذت في الوقت نفسه بالباب الباحثين ، ولقتت أنظارهم ، فهوا يتساءلون عن حقيقة الأمر ، ويحاولون الوصول إلى سره المغلق ، وأخذ بعضهم يسأل بعضاً : هل الرجل حقيقة يفوق المرأة ؟ وهل المرأة - كما كان يقال - حقيرة الشأن . قليلة القيمة إذا قيست بالرجل ؟ والناس لا يزالون مختلفين في الجواب عن هذا السؤال وما أشبهه . فمنهم « الروسويون » الذين لا يفتنون برفعون أصواتهم من فوق المنابر ،

ويجولون بأقلامهم على صفحات المجلات والصحف السيارة ، منادين باستصغار شأن المرأة وتحريم تعليمها في المدرسة ، وإرغامها على أن تلزم حجرات منزلها . وتعكف على تربية أبنائها وخدمة زوجها ومنهم العاطفيون المدفوعون أمام تيار العاطفة النسوية ، الذين استهواهم حب الدفاع عن الجنس اللطيف ، فملك عليهم قيادهم . وهؤلاء يتادون بمساواة المرأة للرجل والصبي للصبي في كل شيء ، ويقولون إنه لا حرج علينا إذا جمعنا بين البنين والبنات في حجرات الدراسة ، وساحات اللعب ، ومحال الأعمال ، وميادين القتال .

ومنهم فريق ثالث يتبع سبيلا وسطا ؛ فلا ينضم إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، بل يقول بوجوب تعليم البنات بحسب استعدادها الخاص ، وإعدادها لمستقبلها ووظيفتها الهامة في الحياة أتم إعداد ، وفق ما تمليه علينا طبيعتها ، وترشدنا إليه تجارب من سبقنا .

- ٨ -

إنك لو بحثت وأمعنت في البحث لوجدت المدافع عن المرأة ، أو الثائر ضدها الخارج عليها أحدث ثلاثة : متهم غير مستند في أقواله وقضاياها العامة إلى أساس علمي صحيح ، فتراه يغلو في القول ، ويلقيه جزافا غير مؤيد بدليل نظري أو عملي - وغرّ قاصر النظر ، يتمسك بظواهر الأشياء من غير تمحيص ، ويستدل على ما يقول بما أخرجه عقل الرجل وما صنعه يد المرأة قديما أو حديثا ، وما وصل إليه كل منهما من ثقافة علمية أو خبرة فنية - ومحقق مدقق يود الوصول إلى الحقائق بطريق التجارب الدقيقة ، والقيام بالأبحاث العلمية العميقة في ضوء العلوم الحديثة ولا سيما علم النفس . أما الأول فاني أربأ بمن يسمعه أن يأبه له ، أو يصغى لقوله ، أو يقيم لكلامه وزنا ؛ لأنه إما جاهل مغرور ، وإما مغيب محقق

موتور ، وإما متمسك بمبادئ عتيقة بالية أكل عليها الدهر وشرب ، وبرهنت على فسادها الأيام . وأما الثاني : فخرى أن تغره المظاهر الخارجية ، فيظن أن أعمال الرجل والمرأة في الماضي والحاضر راجعة كلها إلى اختلافهما في المواهب العقلية فقط ، غير مكترث بما قد تحدثه الظروف العامة ، والفرص والتجارب ووسائل التربية والظروف البيئية الخاصة من فروق عملية بين الرجل والمرأة . وأما الثالث : فاذا وجدته فتمسك بأهدابه ، وسر في طريقه ؛ فلعلك تعثر معه على الضالة المنشودة ، وتصل بمعوته إلى الغاية المقصودة .

— ٩ —

ولا أخالك أيها القارىء بعد قراءة ما تقدم إلا قائلاً متسائلاً : وهل هناك من ينتمون إلى الصنف الثالث المحقق المدقق ؟ الجواب نعم ؛ فهناك من المربين وعلماء النفس ممن عنوا بهذا الموضوع عناية كبيرة ، ودرسوه دراسة مستفيضة ، ولم يكن غرضهم تعرف ما بين البنين والبنات من فروق في المقدرة العقلية العلمية فحسب ، بل كان من أغراضهم أيضاً معرفة ما إذا كانت مناهج الدراسة وطرق التدريس تصلح للبنين والبنات معا ، أو لا بد من اختلافها إذا تبين لهم اختلاف البنات والولد في المواهب والاستعداد العقلي وطرق كسب المعرفة .

وقد توسلوا في أبحاثهم بوسائل متعددة ، وإني إذا كر لك من أهم تلك الوسائل ما يأتي : —

أولاً : ملاحظة التلاميذ في المدارس ، وتعرف مقدار عنايتهم بكل مادة من مواد الدراسة ، وذلك بطريقتين «أولاهما» مراقبة البنين والبنات في أثناء قيامهم بأعمالهم المدرسية ، «وثانيتهما» سؤالهم عن أنواع الكتب التي يميلون إلى قراءتها .

فبالطريقة الأولى : وجد أن الفروق التي بين الجنسين من الناحية الادراكية تظهر في المواد التي تحتاج إلى بحث فكري واستنباط وابتكار ؛ فالبنات يساوين البنين بل يفقهن في السنين الأولى من سنى الدراسة التي يكون التعليم فيها محصوراً في دائرة المحسوسات ؛ إذ أنهن يستظهرن المعلومات بسرعة وسهولة ، ويعنين بالنظافة والنظام ، والدقة في عمل التمرينات التي يعملنها ، ويقدرن الجمال تقديراً تاماً ، ولذا يولعن بالأدب قبل أن يولع به البنون ، ويجدن الكتابة الانشائية في أول الأمر لاعتمادهن على محاكاة ما قرأن في كتب الأدب ، أو على ما كتبه لهن الأساتذة : وهذا يظهر بنوع خاص في القصص ، فالحكاية التي ينشئها الغلام تكون في الغالب مفككة الأوصال ، أما الفتاة فتنسج حكايتها نسجاً محكماً مترابط الأجزاء كامل العناصر ، وتسير بالقارئ إلى نقطة الموضوع الهامة سيراً منسجماً . ولذلك ترى أن الغلمان يكذبون ولكن كذبهم يظهر ؛ لأنهم لا يجيدون التلفيق ، أما البنات فيفقهن في إجادة هذا الفن . وقد دلت التجارب على أن كذب البنات أكثر من كذب البنين ، وأن كذبهن يتأثر في الغالب بنزعات وأغراض شخصية ، فقلما تكذب البنت لانقاذ غيرها ، أما الولد فكثيراً ما يفعل ذلك ، والحق أن الصبي المربي تربية حسنة لا يكذب مطلقاً إلا لهذا الغرض ؛ فالأولاد تنقصهم المهارة والتظاهر بمظهر المتأكد عند الكذب ، أما كذب البنات فنمق ملطف ، موضوع بصيغة توهم السامع أن ما قيل هو الحق الصراح . وهذا فرع من المهارة اللغوية ، وهو أساس الفرق بين الرجال والنساء في وصف الحوادث الخارجية ، وتقدير الأعمال ؛ فالحق عند الرجال ما كان مطابقاً للواقع - بقطع النظر عن شكله أو صيغته . أما النساء فالذي يظهر أنهن يخدعن بالشكل الظاهري وبالصيغة والانسجام والزخارف .

وبالطريقة الثانية : وجد تيرمان أن الكتب التي يميل البنون إلى قراءتها وهم في الحادية عشرة هي : كتب المغامرات ، والأقاصيص المشتملة على مفاجآت غريبة ، وكتب الميكانيكا والطيران والكهرباء ، وكتب الاختراع والكشف ، وكتب العلوم الطبيعية وغيرها .

أما البنات فيملن في تلك السن إلى القراءة في كتب العشق ، وفي كتب القصص المتعلقة بالحياة المنزلية والمدرسية ، وفي الكتب المتعلقة بحياة الحيوان والنبات والأزهار أو بفلاحة البساتين . ولا يملن إلى الكتب العلمية أو الميكانيكية .

وقد وجد تيرمان أيضاً أن البنين في الرابعة عشرة يميلون كثيراً إلى قراءة المجلات ، ويحبون القراءة عن الرياضة البدنية وعشاقها وأبطالها ، ويزداد شغفهم بكتب الميكانيكا ، وبتراجم الرجال ، وكتب الأسفار وحكايات الغابات والأدغال .

ويميل البنات في هذه السن إلى القراءة في المجلات أيضاً ، ويشتد ولعهن بالأقاصيص الغرامية والشعر ، ولا يحفلن كثيراً بحكايات المغامرات ولا بكتب الأطفال .

وقد اختبر « جوردان » أحد علماء أمريكا عدداً من البنين والبنات المختلفين في السن ليعرف أنواع الكتب التي يحب مطالعتها كل فريق فوجد أن معظم البنين يميلون إلى قراءة كتب المغامرات ، وأن كثيراً منهم يميلون إلى كتب المزاح والفكاهة ، أما البنات فقد وجد أنهن في الغالب يملن إلى قراءة الكتب الخرافية المكتوبة عن الصغار أو عن الكبار من من بني الإنسان .

نخلاصة ما يستنبط من هذه الأبحاث المستندة إلى الملاحظة داخل المدرسة ، وسؤال التلاميذ عن ميولهم أن البنين يفوقون البنات في المواد

التي تحتاج إلى تفكير وبحث ، وأنهم يميلون إلى كتب المغامرات المشتملة على أعمال ومفاجآت غريبة ، وأن البنات يفقن في الفنون والمواد التي تحتاج إلى حفظ واستظهار وقوة خيال ، وأنهن يولعن بكتب الغرام والقصص الخرافية الخيالية

- ١٠ -

ثانيا : فحص نتائج الامتحانات العامة المشتركة بين البنين والبنات .
وهنا يجب أن نتساءل هل يصح الاعتماد على نتائج الامتحانات في الحكم على مقدرة البنين والبنات من الناحية العلمية ، والموازنة بينهما من حيث المواهب العقلية ؟

يرى فريق من المربين بحق أن هذه الوسيلة لا ينبغي الاعتماد عليها وحدها في إصدار أحكام صحيحة في هذا الصدد ، وهم يؤيدون هذا بأن النجاح في مثل هذه الامتحانات لا يتوقف على المواهب العقلية والمقدرة الفكرية فقط ، وإنما يتوقف على عوامل أخرى كثيرة منها :

(١) حسن اختيار ناظر المدرسة أو ناظرتها لمن يتقدمون للامتحان النهائي في بعض المدارس دون بعض ، فتكون النتيجة حسنة في الحالة الأولى ، رديئة في الحالة الثانية ، وتكون الموازنة حينئذ غير صحيحة لأنها تكون بين فريق يعدون من النابغين في مدرسة وبين فريق فيه نابغون وأغبياء ومتوسطون متمون إلى مدرسة أخرى .

(٢) روح المصححين وحالتهم النفسية عند التصحيح ؛ فأنت لا تضمن أن تكون الدرجات التي تعطى في المواد المختلفة تصور الحقيقة تمام التصوير ، وتدل على مقدرة الممتحن تمام الدلالة في جميع الحالات .

(٣) مقدار الجهد والعناية والوقت التي يبذلها الممتحن استعدادا للامتحان ؛ فأنت تعلم أن الذكي قد يخفق أو يتأخر لإهماله ، في حين

أن من هو أقل ذكاء قد يفوق أقرانه لجهده وعنايته وبتمام استعدادة للامتحان .

(٤) مقدار عناية المدرسين بتدريس المواد المختلفة ؛ فانت ترى وتسمع أن مقدرة المدرس تقاس بما حصل عليه تلاميذه من الدرجات في مادته وتعرف أن بعض التلاميذ إذا انتقل من مدرسته إلى غيرها تحسنت حالته العقلية ، وما ذلك إلا لأن مدرسيه في المدرسة الثانية أقدر وأحسن طريقة من مدرسي المدرسة الأولى .

(٥) حالة بيئة التلاميذ المدرسية أو المنزلية ؛ فقد يكون التلميذ ذكياً مجداً نشيطاً يأخذ العلم عن طائفة من مهرة المدرسين ومع ذلك لا ينجح في الامتحان ؛ لأن بيئته المدرسية أو المنزلية غير صحية لا تسمح له بأن يسبغ العلم ، ولا بأن يقبل على التعلم بصحة قوية وأعصاب متينة .

(٦) مقدار ميل التلميذ إلى مواد الدراسة ؛ فقد يكون السبب الوحيد في رسوب التلميذ في إحدى المواد ، أو حصوله على درجات قليلة فيها أنه لا يجد ميلاً نفسياً نحوها ، وأنه يتعلمها وهو مكره مغلوب على أمره .

(٧) مقدار ارتباط المادة الخاصة بمادة يجيدها التلميذ ؛ فالذي يفوق في الحساب جدير أن يفوق في الهندسة والجبر ، والذي يفوق في هذه المواد الرياضية خليف أن يفوق في الطبيعة والكيمياء والميكانيكا ، لاتصال هذه المواد بعضها ببعض ، ومن يفوق في الرسم يكون أقرب إلى إتقان الخط والأشغال اليدوية .

(٨) حالة المبتحن الجسمية والعصية عند أداء الامتحان ؛ فمن المشاهد أن بعض الطلبة الأذكياء المجيدين المستعدين للامتحان تمام الاستعداد قد يعتريهم وهم وخوف فينتابهم المرض ، وقد يأتون إلى مكان الامتحان وهم في صحة جيدة فيهلهم الموقف ، وتضطرب أعصابهم ، ولا يستطيعون

أن يؤدوا الامتحان كما يجب ، وكما كان ينتظر منهم .
هذه وغيرها هي الأسباب التي دعت المدافعين عن البنات والمدافعين
عن الولد أيضاً إلى عدم الوثوق بنتائج الامتحانات ، وإلى القول بعدم
صلاحيتها لأن تكون وسيلة للحكم على مواهب البنات أو الولد العقلية .

— ١١ —

ولكننا مع ذلك نود أن نصف لك بعض الأبحاث التي قام بها المربون
في هذا الموضوع ، ونذكر لك النتائج التي وصلوا إليها ، ثم نترك لك
الحكم النهائي بعد موازنة هذه النتائج بنتائج الأبحاث السابقة فنقول : —
(١) قد بحثت اللجنة الاستشارية بوزارة المعارف البريطانية سنة
١٩٢٢ الفروق التي بين البنين والبنات من الناحية الآتية الذكر ، مستندة
في بحثها إلى الدرجات التي حصل عليها كل من الفريقين في امتحانات
كيمبردج المحلية فتبين لها :

« أن الدرجات التي نالها البنون كانت أعلى في الرياضة — ومنها
الحساب — وفي الطبيعة ، والكيمياء ، واللغة اللاتينية ، وكذلك في الجغرافية
الطبيعية ، وأن البنات فقق البنين في اللغة الانجليزية ، والتاريخ الانجليزي ،
وعلم النبات ، والجغرافية ، واللغة الفرنسية كتابة ومحادثة ، وكذلك
في الرسم والتصوير » .

فالنتيجة العامة التي وصلت اليها هذه اللجنة بعد بحثها هي أن البنين على
على العموم فقق البنات في اللغة اللاتينية والعلوم الرياضية وفي العلوم التي
يتوقف النبوغ فيها على معرفة العلوم الرياضية كالطبيعة والكيمياء والميكانيكا ،
وأن البنات قد سبقن البنين في الآداب والتاريخ واللغات الحديثة ، وأنه
لم تكن هناك فروق كبيرة بين الجنسين في درجات المواد الأخرى .

(٢) قد قام بعض رجال التربية بأبحاث أخرى خاصة بنتائج الامتحانات

في المدارس الابتدائية والثانوية في بريطانيا فبين لهم أن البنين يفوقون في العلوم الرياضية ، في حين أن البنات يسبقن في الآداب واللغات الحديثة ومن الهام أن نذكر من هؤلاء الباحثين الأستاذ بيرنس Burness رئيس إحدى المدارس الثانوية الانجليزية التي يتعلم بها البنون والبنات معا . فخص هذا البعثة بمجموعات متعددة من نتائج الامتحانات التي عقدت في سنين متعددة للبنين والبنات فوجد أنه ليس هناك فرق يذكر بين الجنسين في الدرجات التي نالها كل من الفريقين في مواد الدراسة ماعدا العلوم الرياضية التي كان للبنين منها الحظ الأوفر .

وقد اقتنع هذا الأستاذ بأبحاثه هذه ، واطمأن إلى النتائج التي وصل إليها ، فرأى من الضروري عند تدريس العلوم الرياضية عزل البنين عن البنات في مدرسته .

فإنستطيع أن نقول على وجه الإجمال إن هذه الأبحاث الخاصة بنتائج الامتحانات قد بينت للباحثين أن البنين يسبقون البنات في العلوم الرياضية والعلوم المرتبطة بها ، وأن البنات يسبقن في الآداب والفنون . وإذا رجعت إلى ما وصل إليه العلماء باتباع الوسيلة الأولى وجدت مشابهة كبيرة بين النتيجةين

على أن هناك وسيلة ثالثة ربما تعد أدق من الوسيلتين اللتين ذكرناهما ، وهي التي سنحدثك عنها في العدد الآتي إن شاء الله .

حامد عبد القادر

قضية الأطفال

الأستاذ زكى المهندس الأستاذ بدار العلوم

٢

أرأيت لو أن امرأة تعجلت النمو في رضيعها فناولته كسرة من خبز أو ألقمته قطعة من لحم أ كان ذلك ينيلها غايتها أم يعكس عليها غرضها فتقتل الطفل بيدها قتلاً؟ ثم أى خطئ ترى في منطق هذه الأم وأى خبل في عقلها لو اعتذرت عما فعلت بأنها تعلم أن الطفل لا بد بالغ يوماً ما تلك السن التى يلتقم فيها اللحم ويزدرد الخبز وأنها ترى من الخير أن تبادر منذ الآن الى تدريب معدته على الهضم فتعده بذلك لحياته المقبلة!!

غير أن الأمهات — من حسن الحظ — لا يصنعن مثل هذا بأبنائهن فقد ألهمتهن الغريزة وهدتهن التجربة الى أن لدور الطفولة خصائصه ومميزاته وغذائه وإن للطبيعة سنناً لا يسعهن مخالفته وأنهن اذا حاولن أن يتعدين حدود الطبيعة فى ذلك فقد ظلمن الأطفال وجنين عليهم جناية موبقة.

يدرك الأمهات كل هذا ويدركن فوق هذا انهن قد كفين مؤونة التفكير فى تغذية أطفالهن بفضل ما ركب الله فى صدورهن من هذا النظام العجيب الذى يكفل للطفل غذاءه ويدير عليه رزقه وان كثيراً من الأمهات ليشعرن كذلك بأنهن إذ يلقمن الأطفال أثداءهن لا يجرعنهم فقط لبناً سائغاً شرابه وإنما يجرعنهم معه عطقاً وحناناً ورحمة.

ورجال التعليم لا يكادون يختلفون عن الأمهات فى كل ما يتصل

بالنمو الجسمي للأحداث فهم يدركون إدراكا واضحا جليا ان للطبيعة نوااميسها وحدودها في ذلك وانهم عا. زون - مهما حاولوا - عن أن يسبغوا على الطفل سنوات من أعمارهم يزداد بها طوله وينبت معها عذاه. أو يخط شاربه لأن ذلك مما تأباه الطبيعة عليهم ويحجزه الزمن دونهم ، وهم من أجل ذلك يقفون من جسم الطفل موقف البستاني من غرسه يهيء له التربة الصالحة ويمده بالغذاء الملائم ويمنحه من عنايته وحسن تعهده ما يكفل له النماء والقوة ويمنع عنه الآفات والعلل ثم يظل يرقبه بعين صابرة ونفس مطمئنة فاذا هو زهر تفتحت أكامه وانتشر في الفضاء عبره أو شجر بسقت فروعه والتفت غصونه وأينع ثمره وتدلى جناه

كذلك يقف رجال التعليم من الطفل في تربيته الجسمية يوفرون له من الوسائل ما يقوى عضله ويحكم فتله ويرهف من حواسه ثم يرقبونه بعد ذلك صابرين مصابرين حتى يخرج من دور الطفولة سليما قويا وهم يعلمون حق العلم بأنه ليس في طاقتهم أن يثبوا به وثبة زمنية تبلغه سن الرشد قبل أوانه أو تسرع به الى الشباب في غير إبتانه ولكن ما لرجال التعليم يضطرب منطقهم وتختل أقيستهم وموازنهم كلما تصدوا للبحث في تكوين عقول الأطفال أو في تهذيب أخلاقهم ؟ ما لهم لا يقفون من عقل الطفل وخالقه موقفهم من جسمه ؟ ما لهم كلما عرضت مسألة المناهج حرصوا على أن يدفعوا بالطفل سراعا الى الشباب والتمسوا في جسمه الصغير وعُوده اللدن عقل الرجل وحكمة الرجل ؟ إنهم لا يكادون يجهلون أن للطبيعة قانونا لا يشذ ولا يتغير وأن هذا القانون منسجم متسق عام يخضع له المرء بمظهره المادى والنفسى كما تخضع له الكائنات الحية بأسرها ان لم يكن الكون كله بجميع ظواهره وأحداثه فليت شعري ماذا يحملنا على أن نفرق بين نمو الأطفال الجسمي ونموهم

النفسي ولماذا يكون موقفنا من الأول موقفا طبيعيا محدودا وموقفنا من الثاني موقفا مضطربا بعيدا كل البعد عن حدود الطبيعة ونواميسها ؟

لقد مضى زمن كان الناشئ فيه لا يغادر مدرسته الابتدائية إلا بعد أن يكون قد قطع شوطا بعيدا في مرحلة الشباب فلم يكن هناك بأس من أن نأخذ به بعض تجارب الرجال ونطلب إليه أدب الرجال ولكن أحداث الزمن وتطوراته قد غيرت كل شيء فأصبحنا نرى بين أيدينا طفولة خالصة ونعالج في مدارسنا الابتدائية طفولة صريحة ، وها نحن أولاء نرى لجان الامتحان في كل عام تموج بتلك الجسوم الصغيرة التي لم تكند تشب بعد عن الطوق ، أصبحنا نراهم ونغتبط برآهم ونلجح في صفحات وجوههم تلك البراءة والطهارة والسذاجة التي هي من أظهر أمارات الطفولة ، حقا لقد نقص متوسط أسنان التلاميذ في السنوات الأخيرة نقصاً ظاهرا حتى أصبح التليذ يتم مرحلته الابتدائية قبل أن يُوَفَّى على الثانية عشرة من عمره .

ولقد كان من حق هذه الطفولة الخالصة على رجال التعليم عامة وعلى واضعي المناهج بصفة خاصة أن يُعترف لها بحقوقها ومطالبها وأن تحقق لها غاياتها وآمالها ولاكننا نأبى أن نعتزف بأن لهذه الطفولة حقوقا أو آراء بل ضيقنا بها وضائق بنا وحرصنا على أن ندفع بها إلى الشباب قُدُما فكان مثلنا مثل تلك الأم التي تلقم رضيعها الخبز واللحم قبل أن تهيئه الطبيعة لذلك إن صح أن يكون لمثل هذه الأم وجود بين الأمهات .

أقول إن واضعي المناهج يأبون الاعتراف بأن للطفولة غذاءها النفسي كما لها غذاؤها الجسمي وهم لذلك كلما تصدوا لتعليم الأطفال أو تأديبهم لمحوا شبح « المستقبل » جاثما بين أيديهم بصورته الرهيبة الغامضة فأثروا أن يبيعوا حاضر الطفل بمقبله وأن يعكسوا أولاءه على أخراه

ويضحوا بعاجله في سبيل آجله فظلوا الطفولة والشباب معاً .

لقد أنفقنا كثيراً من الجهد والوقت في تعديل المنهاج الابتدائي وتغييره في السنوات العشر الأخيرة . ولكن يجب أن نعترف صراحة وبمسمع من كل من يعنيه الأمر بأن المنهاج الحالي عامة والشرط الأخير منه خاصة لا يزال بعيدا كل البعد عن أن يحقق للطفولة ما تطمح إليه من غايات ومقاصد وأن المنصفين من رجال التعليم ما زالوا يشعرون بتلك الحرب الناشبة بين الأحداث وما فرض عليهم دراسته من حقائق وتجارب هي أدنى إلى عقول الشباب منها إلى عقولهم نعم لقد آن للقائمين بأمر الأطفال والمشرفين على تعليمهم أن يذكروا دائماً أن الطفولة يجب أن تظل طفولة خالصة في عقلها وخلقها كما هي طفولة خالصة في جسمها وطبيعتها وأن يذكروا فوق هذا أننا إذا أعطينا هذه الطفولة حقها ووفينا لها بمطالبها وحققنا لها غاياتها وآربها فقد أنصفناها وخرجنا بها سليمة قوية نشيطة ثم استطعنا أن نقيم على دعائهم شباباً معافى فياضاً مستجاً .

كم وددت لو فسح لي في أن أتناول في شيء من الاسهاب منهاج التعليم الابتدائي بابا بابا لأفصل غثه من سمينه وأميز بين طيبه وخبيثه فقد ازدحمت المثل بين يدي حتى ما أكاد أعرف ما آخذ منها وما أدع ولكن صديق رئيس تحرير الصحيفة يأبى عليّ الاطالة ولا يسعني إلا النزول على حكمه فاني أحبه وأخشاه وأخوف ما أخاف منه قلبه الأحمر الذي كلما اضطرب بين أصابعه اضطربت معه قلوب الكاتبين ومن أجل ذلك يجب — على الرغم مني — أن أمسك عن ضرب المثل وأستمر في تسجيل هذه الملاحظات العامة

إن واضعى المناهج في التعليم الابتدائي يبررون عملهم بحجة منطقية خلاصة خادعة فهم يقولون : « إن غاية التربية إعداد النشء للمستقبل »

ونحن نقصد في مناهجنا إلى تربية النشء فمن الطبيعي إذن أن نزوده بما يمكن أن ينفعه في حياته المقبلة ، هذا ما يقوله واضعو المناهج وهو - كما ترى - قياس منطقي لا يوسع أى عقل من أول وهلة إلا أن يسلم به وينزل على حكمه ولكن قليلاً من البحث والتروى يشعر ك بأن هناك خطلاً في بعض نواحيه . أما أن الغاية القصوى للتربية إعداد النشء للمستقبل فهو حق لا مرية فيه ولم يُجمع المربون على شيء - فيما أعلم - إجماعهم على هذه الحقيقة فالترية يجب أن تكون بحيث تستطيع أن تصوغ للأمة شباباً قوياً يحسن القيام بواجبه نحو نفسه ووطنه ونحو الإنسانية عامة وأما أننا نقصد في مناهجنا ونظمنا التعليمية إلى تربية النشء فهو أيضاً من البداهة بحيث لا يحتاج إلى نقاش أو جدل فلأمر ما أنشئت المدارس وبذلت الجهود وضحي الآباء بكل مرتخص وغالٍ بما ملكت أيديهم

أما أن تكون النتيجة الطبيعية لهذا أن نزود النشء بكل ما يمكن أن ينفعه في مستقبل أيامه فهو الذى يحتاج إلى شيء من البحث والتدقيق فكيف نستطيع أن نعد الطفل للمستقبل ؟ هذه هى النقطة التى أفضت وما زالت تقضى بنا إلى كثير من الحيرة والارتباك عند وضع مناهجنا . إن كثيراً من المشتغلين بالتعليم يظنون أن « إعداد النشء للمستقبل » ليس أكثر من تزويده بتلك المعلومات المختلفة والتجارب المتنوعة التى إذا لم تتصل بحياته اليرم فيسكون لها قيمتها وأثرها في حياته غداً ، وهم من أجل هذا لا يرون بأساً بل قد يرون من الواجب عليهم - فى كثير من الأحيان - أن يكرهوا النشء على علاج مسائل متعددة وتجارب شتى طمعاً فى أن تكون ذخيرته وعدته فى مستقبل أيامه وأهمين أن عقول الأحداث « خزانات » تكس فيها تجارب المستقبل تكديساً

كنت أتحدث إلى رجل نابه من رجال التعليم فى بعض مسائل فرض

على تلاميذ السنة الثالثة دراستها على ما فيها من صعوبة وعسر فلم يسعه إلا الاعتراف بأنها بعيدة المنال على مدارك الأحداث ولكنه ختم حديثه بقوله :

« لا بأس فهم إذا لم يفهموها اليوم فسيكون لها شأنها في حياتهم المقبلة » على هذا النحو يفهم جل رجال التعليم « إعداد النشء للمستقبل » ومن الصعب أن تقنعهم بأن المربين حين يتحدثون عن « الإعداد للمستقبل » لا يعنون أكثر من تزويد الأحداث بتلك الصفات والمواهب والعادات التي تعتبر عناصر ضرورية للحياة المقبلة ورأس مال يستثمرونه إذا أدركوا طور الشباب أقول من الصعب أن تقنع جل رجال التعليم بهذه الحقيقة الجوهرية في التعليم وأن تحمّلهم على الاعتراف بأنه ليس من واجب المعلم أن يجعل من الطفل رجلاً قبل أوانه ولكن الواجب الذي تفرضه عليه مهمته يكاد يقتصر على استغلال تلك الميول الطبيعية والنزعات الفطرية والعمل على إنمائها - في حدود الطفولة - إنماء يهيئ الطفل لشباب صالح منتج سليم . فانت تعد طفلك للمستقبل إعداداً صالحاً محمود العاقبة إذا استطعت أن تختار له من التجارب ما يستثير نشاطه الذاتي ويرهف من ملاحظته ويغذى وجدانه وخياله تغذية صالحة ناجعة أما أن تحمله على استظهار محصولات أمريقا وأنهار أوربا وهو لا يزال يجهل أثر « النيل » في حياته وحياة من حوله ، أو ترهقه بمعرفة النسبة والتناسب والمكسب والخسارة وما إلى ذلك من أعمال المصارف والشركات وهو لا يكاد يحسن بعد شراء كتاب في المطالعة أو ابتياع رطل من فاكهة ، أو تكبد ذهنه ببيان واف عن المصدر المأثور ومواقع إعرابه وهو عاجز كل العجز عن الإبانة عن نفسه في أخصر شئونه الحيوية أما أن تعرض عليه دراسة هذه المسائل وأشباهاها فليس من الإعداد للمستقبل في شيء بل إن شئت فقل إنه إفساد لحاضر الطفل ومستقبله

يقول صاحبي وهو يحاورني : « لكنك نسيت أن جل التلاميذ يجتازون الامتحان في هذه المسائل التي تنعاها على المنهاج بدرجة تدعو إلى الاغتيال » وهذا حق لاشبهة فيه فالتلاميذ على صغر أسنانهم يسألون في هذه المسائل ويحيون وينالون عليها درجات يغتبط بها كل محب للامتحان. وهل نقصت نتائج النجاح والشهادة الابتدائية عن ٦٠ أو ٧٠ في المائة كل عام ؟ وهل أذاك نبأ هذه المدارس العجيبة التي تأتي إلا أن تقذف بجميع تلاميذها إلى المدارس الثانوية في كل امتحان أليس هذا عجيبا حقا ؟ أليس نظار المدارس ومعلوها يطربون لهذه النتائج ويتهيجون بها ؟ ألم ترتب وزارة المعارف على هذه النتائج أمورا ذات خطر تتصل بأقدار المعلمين وأرزاقهم ؟ بلى . كل هذا صحيح وكله حق فلا يسعني إذن إلا أن أوافق صديقي على قوله بل أزيد عليه ان هؤلاء الاحداث المساكين لو كلفوا الامتحان في المعلقات السبع وفي المقولات العشر وفي نظريات علم الفلك وقواعد المنطق فربما لا يجد كثير منهم صعوبة في اجتياز الامتحان ما دام هذا الأسلوب التعليمي يجري في مدارسنا على النحو الذي رسم له حتى الآن لا ياسيدي . ان نتائج الامتحان ونتائج التعليم مسألتان مختلفتان جد الاختلاف وإنا لنخدع أنفسنا ونجنى على أطفالنا اذا خلطنا إحداهما بالآخرى فان بينهما فرق ما بين السماء والأرض وإدراكنا لهذا الفرق هو إدراكك للتعليم كما هو الآن وما يجب أن يكون عليه فالغاية فيهما مختلفة والوسائل اليهما مختلفة كذلك ومن الواجب أن نسلم بأن الأسلوب الذي يجري عليه التعليم في مدارسنا الابتدائية هو أشبه بأسلوب امتحاني منه بأسلوب تعليمي فهو يرمى في مجموعه الى غاية محدودة واضحة هي إقدار التلميذ على اجتياز الامتحان فحسب وهو من أجل ذلك لا يقتضى من تاحية المعلم أكثر من إعادة وتكرار ولا يتطلب من تاحية التلميذ فوق

انتباه واستظهار أما تربية الملكات واستثارة النشاط وإنماء الميول الصالحة وتهذيب الخيال والوجدان فلا يعنى بها ولا يلتفت إليها فان تحقق منها شيء - وقبلما يحدث - فهو كما يقول المنطقة - ليس مقصودا أولا وبالذات وإنما يأتي عرضا وعلى « الهامش »

ثم يعود صاحبي فيسأل : « ماذا يعلم الأطفال في أوروبا ؟ » وأنا من فوري أؤكد له أن التعليم في الممالك الراقية لا يقدر بالكمية كما يقدر في مدارسنا ولقد يدهشك أن تعلم أن الطفل الانجليزى وهو ربيب أمة لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها - لا يكاد يعرف شيئا مما يجرى وراء بحر « المانش » أو على الشاطئ الآخر من المحيط الأطلسى فهو لا يستطيع - اذا سئل كما يسأل الطفل عندنا - أن يعدد الانفاق في أوروبا ولا محصولات آسيا ولكنه لا يكاد يخطئ شيئا مما يجرى في بيئته الخاصة

ولكن قد يدهشك أكثر من هذا أن تعلم أن هذا الطفل نفسه لا يرى شيئا غريبا حتى ينزع إلى معرفته واستكناه حقيقته ولا يخطر بباله فكرة إلا أخرجها في صورة محسوسة ظاهرة ثم هو اذا بدأ عملا أى إلا أن يتم مهما قام في سبيله من عقبات فهو مخلوق يقظ نشيط يشعر بأن له وجودا مستقلا وان فيه قوة ذاتية يستطيع أن يسيطر بها على الكائنات ومثل هذا يقال عن الطفل في المانيا وأمريكا وغيرهما من الممالك التي شادت مجدها على كواهل بنينا حيث تستغل وتستثمر مواهب الطفولة الى أقصى حدودها فتستحيل في النهاية الى شباب قوى ثم الى رجولة كاملة

لقد أطلت في الحديث عن المنهاج المقرر وما يحمله من مسائل لا تسيعها عقول الاحداث غير أنى مع هذا مؤمن كل الايمان بأن لأسلوب المعلم أكبر الأثر في علاج ما يحتويه هذا المنهج من سيئات . وعندى ان مشكلة التعليم الابتدائى وغيره من مراحل الطفولة تكاد تنحصر في أسلوب

الدراسة وان ما يلقاه الناشء من صعوبات يرجع أكثره الى الطريقة التي يجرى عليها المدرس في درسه وعلى هذا أرى ان مسألة التعليم الابتدائي لا يمكن أن تعالج بين أربعة جدران في هذا القصر الفخم المشيد في شارع الفلكي بل علاجها الصحيح الناجع إنما يكون في فصول الدراسة وبين أيدي التلاميذ

ولكن خبرني كيف نستطيع أن نحمل المعلم على تغيير طريقته وتعديل أسلوبه إذا كنا نضطره إلى انجاح نسبة معينة من التلاميذ وتذره بالويل والثبور وعظائم الأمور — كما تقول القصص القديمة — إذا نقص عنها أورشى بما هو دونها؟ إني لا أفشى سرا ولا أقول جديدا إذا ذكرت أن بعض معلمينا الذين يدركون التربية على حقيقتها ولهم تبصر بأساليبها وفيهم حذق بالافتنان في طرقها قد أصبحوا تحت هذا النظام القائم يعملون للامتحان ولا يقصدون إلى سواه سمعت مرة أحد نظار المدارس الابتدائية التي اشتهرت في البيئات التعليمية بنتائجها الفائقة كل عام يفخر في جمع من رفاقه بقوله: «لودخل مدرستي حمار بليد لاخرجته بشهادة» وهو صادق في هذا كل الصدق لانه قد عرف «سر المهنة» ولكني أؤكد له ولكل من يعنيه الأمر أن هذا الحمار البليد سيخرج من المدرسة كما دخلها ولكن «تزينه شهادة في عنقه».

فانت ترى مرة أخرى أن الامتحان على نظامه المألوف في مصر هو موطن الداء رأس البلاء لا في التعلم الابتدائي وحده ولكن في نظامنا التعليمي بأكمله وأقسم لو حاولت أن تنتزع من معاجيم اللغة كلمة تجمع عيوب التعلم كلها في قرن واحد وتنظم مساوئه جميعها في سلك واحد لما وسعك أن تجد خيرا أو بالاحرى شرا من كلمة «امتحان»

التعليم الثانوى فى انجلترا

أمس واليوم

بقلم الأستاذ عطيه الابراشى

المفتش بوزارة المعارف

منذ مائة سنة كان التعليم الثانوى بانجلترا جامداً متاخراً؛ فقد كانت شئون التعليم فى أيدي الجهلة، وكان الرؤساء يقفون ضد كل تجربة أو إصلاح. وقد ابتدأ التجديد منذ عين (توماس أرنولد) ناظراً لمدرسة (رجبي)؛ فكان له الفضل الأكبر فى كثير من الإصلاحات؛ إذ جعل مدرسته نموذجاً تقتدى به المدارس الأخرى، وتحذو حذوه، وأدخل فى المنهج اللغة الفرنسية، والعلوم الرياضية، وعنيت بالتعليم الدينى، والألعاب الرياضية المنظمة، وبث روح التعاون والحياة الاجتماعية فى المدرسة. وبذلك رفع المستوى العلمى والخلقى فى مدرسته، وأحيا التعليم الثانوى من مماته، وأيقظه من سباته.

أخذت الإصلاحات تنتشر منذ سنة ١٨٢٠ إلى يومنا هذا. وابتدأ المصلحون يفكرون فى البيئة الاجتماعية، وفى نفسية الشباب، واهتموا بالدراسة، ووضعوا الأساس للنظام الاجتماعى بالمدرسة. ولكنهم بالغوا فى ترك القيادة والمسئولية للعرفاء والكبار من الطلبة فى المدرسة والملاعب، فقلبى صغار التلاميذ كثيراً من قسوة الكبار وتحكمهم فيهم. وكانت العناية كبيرة بحشو أذهان التلاميذ بالمعلومات، وكانت المدرسة مبنية على المنافسة بين الأفراد؛ تلك المنافسة التى تؤدى إلى الحقد والبغض بين

صغار المتعلمين . وكان التلاميذ يُجَبَّرُونَ على الفضيلة ، بالعقاب تارة ، وبالتهديد والوعيد تارة أخرى .

تلك حال المدرسة الثانوية بالأمس ، أما اليوم فقد أصبحت المدرسة الثانوية مثلاً أعلى مؤسساً على النظريات والطرق الحديثة في التربية . وأدخلت فيها روح جديدة ، هي روح التربية الحقة ، وأصبحت العناية بالتربية والتهذيب أكثر من العناية بالعلم والتعليم ؛ فالتلميذ يلعب لا لينتصر على تلميذ آخر ، ولكنه يلعب ويدخل المباراة في اللعب لنصرة الفرقة التي ينتسب إليها ، ويجتهد ليفوز بجائزة يشرف بها مدرسته لا نفسه . فهو يعمل ناسياً شخصه ، مفكراً في الجماعة التي هو منها . يخضع لروحها ، ويحترم مبادئها . فروح التعاون والوفاء منتشرة الآن بالمدرسة . والتلاميذ - وإن اختلف كل منهم عن الآخر في طباعه وميوله - يمثلون في المدرسة اليوم أعضاء أسرة كبيرة ، لهم مالها ، وعليهم ما عليها ، يخلصون لها ، ويعملون لرفعها . وماذا يتعلمون من الدروس الاجتماعية في المدرسة ؟ يتعلمون واجبهم نحو إخوانهم ومدرستهم والمجتمع الذي ينتسبون إليه .

ولئن كانت المدارس الأولية تعتمد في نجاحها على طرقها الصالحة التي تتبعها في التعليم ، فالمدارس الثانوية تعتمد في نجاحها على شخصية المدرسين بها .

ومن المبادئ المستحسنة في المدارس الثانوية : الاشتراك في الألعاب الرياضية والعناية بها ، والاستحمام بالماء البارد صباحاً ، والعناية باللغتين اللاتينية واللاغريقية أكثر من العناية بالطبيعة والكيمياء والحساب والهندسة والجبر .

ومن الصفات المستقبجة فيها وفي غيرها من المدارس : الكذب ، والغش في اللعب ، والتظاهر بالضعف ، والغضب وعدم ضبط النفس .

تلاميذ المدارس الثانوية :

إن تلاميذ تلك المدارس من طبقة تختلف عن طبقة تلاميذ المدارس الأولية ؛ فأبناء الطبقة الخاصة والتي فوق الوسط يتعلمون التعليم الابتدائي في مدارس إعدادية خاصة بهم ، ثم ينتقلون إلى المدارس الثانوية . أما أبناء الطبقة العاملة والمتوسطة الفقيرة فيتعلمون في المدارس الأولية المجانية ، ولا يجدون في العادة طريقهم إلى المدارس الثانوية إلا إذا كانوا من الأذكاء الذين نجحوا في مباراة ، أو حصلوا على جائزة المجانية في المدارس الثانوية . وهذه هي الفرصة الوحيدة التي بها يختلط أبناء الطبقات الدنيا بأبناء الطبقات العليا . وبها دخلت الروح العامة (الديمقراطية) في التعليم بالإنجلترا . ومع هذا فكثيراً ما تشكو هذه المدارس أن الاختلاط قد أدى إلى إفساد تقاليد القومية ، وأضر بنظمها المدرسية الخاصة ، وكان سبباً في كثير من المتاعب . وقد اشترطت الحكومة على مديري تلك المدارس أن يقبلوا نحو ٢٥ ٪ من عدد تلاميذ المدرسة بالمجان بمن يفوزون بجائزة المجانية من المدارس الأولية ، نظير الإعانة التي يتسلمونها من الوزارة . وبهذه الوسيلة لا يقبر ذكاء الفقراء من المتعلمين . وقد أظهروا مقدرة كبيرة ، وكانوا القادة في المدرسة من الوجهة العلمية وفي مقدمة المجدين من الطلبة ، والمثل الأعلى في أداء الواجب . وفي كل سنة يقبل في المدارس الثانوية بالمجان أكثر من ٣٠٠٠٠ تلميذ من الطبقة الفقيرة . وفي سنة ١٩٢٥ كان عدد الطلبة الذين بالمجان في تلك المدارس ١٣٤١٧٧ طالب . وإن انتشار جوائز المجانية للفائقين في الذكاء والمعرفة ساعد الأذكاء في العمل للوصول إلى المنزلة اللائقة بهم . ويؤخذ على ذلك النظام إهمال المتوسطين في الذكاء . في دور التعليم الثانوي ، فهم لا يجدون التعليم الحق الذي يحده التلميذ المتوسط في ألمانيا .

إصلاح التعليم الثانوى :

فى سنة ١٨٩٤ ألفت لجنة ملكية برياسة (المستربريس) للنظر فى التعليم الثانوى ، فمكثت سنتين تدرس هذا النوع من التعليم ، وكان لها أثر كثير فى إصلاح المدارس الثانوية . وقد نفذت آراؤها بالتدريج . ومنها : ألا تغلق المدارس الرديئة وتحل محلها مدارس حديثة ، بل تصلح ويتلافى ما فيها من الأخطاء . وأن تحسن مالية هذا النوع من التعليم ، فأصلحت المدارس الموجودة ، وأنشئ كثير غيرها من المدارس الحديثة ؛ حتى تبقى بحاجة من يرغبون فى التعليم الثانوى بعد الانتهاء من التعليم الابتدائى . وفى سنة ١٨٩٧ قامت وزارة التعليم بإحصاء المدارس الثانوية غير الخاضعة لها فوجدتها ٦٢٠٩ مدرسة ، منها ١٩٥٨ مدرسة للبنين ، و ٣١٧٣ مدرسة للبنات ، و ١٠٧٨ مدرسة للبنين والبنات معا . وبقانون سنة ١٩٠٢ أصبح لل مجالس المحلية للتعليم الحق فى بناء المدارس الثانوية وفتحها ومعاونتها .

مدة التعليم الثانوى :

إن المدة الثانوية للتعليم الثانوى أربع سنوات ، ولكنها مدة نظرية . وفى الغالب يمكث التلميذ بالمدرسة الثانوية ست سنوات ، ويتركها وعمره نحو ١٦ سنة أو أكثر . وبعد نهاية الحرب العالمية الكبرى قدّرت أنجلترا أثر التعليم فى الرقى ، واعتبرته أكبر قوة ثابتة تحفظها من الفناء ، فشجعت التعليم الثانوى ، وخصصت جزءا كبيرا من المال لتحسينه ، وأصلحت طريقة الامتحانات ، وحسنت مستوى المدرسين باختيارهم من الأكفاء المحبين لمهنة التدريس ، الذين أعدوا أنفسهم لها ، ودرسوا قسطا وافرا من علوم التربية . فتحسن التعليم الثانوى تحسنا محسا ، وزاد عدد المدارس ، وتضاعف عدد الطلبة والطالبات .

أنواع المدارس الثانوية :

إذا استثنينا المدارس الأهلية التي يقوم البعض بإنشائها جبا في التجارة والربح أمكننا أن نقول : إن الأنواع الرئيسية للمدارس الثانوية أربعة يختلف كل منها عن الآخر بعض الاختلاف . وهي :

(١) ما يسمى بمدارس العامة . والحقيقة أنها مدارس للخاصة أو الأشراف .

(٢) مدارس الأجرومية للبنين .

(٣) المدارس العالية للبنات ؛ وهي عالية إسمًا ، ثانوية فعلاً .

(٤) المدارس الإقليمية الثانوية ، وهي في العادة مدارس مختلطة للبنين

والبنات . ولنتكلم عن النوع الأول منها فنقول :

مدارس العامة :

أشهرها تلك المدارس التسع الخاصة ببطقة الأشراف من الأمة ، وهي موضع فخر إنجلترا ، وموضع إعجاب غيرها من الشعوب منذ مئات السنين . وهي : « مدرسة إيتون ، وهارو ، ورجبي ، وونشستر ، ووستمنستر ، وكارترهونس ، ومرشانت تيلرز وشرؤزتري ، وسانت پول » . ولها شهرة كبيرة ، وصيت ذائع في جميع أنحاء العالم . وقد انتقد أحد الأمريكيين تسميتها فقال : إنها سميت عامة لأنها للخاصة ، ودعيت انجليزية لأنها تعلم كثيرا من اللاتينية ، وقيل إنها مدارس لأنها تقضى ثلثي وقتها في الألعاب الرياضية .

والحق أنها أثمرت ثمرا طيبا ، والمدارس تعرف بثمارها ، ولا يمكننا أن ننكر ما قامت به نحو التعليم ، ونحو إنجلترا في الخارج . ولا عجب إذا أرسل كثير من الملوك أبناءهم ليتعلموا في إيتون وهارو ؛ ففي تلك المدارس تتمثل روح الصداقة بين المدرس والتلميذ ، وتبدو روح النظام والاخلاص .

والتعاون ، وتظهر روح الحكم لمصلحة المحكومين ، والعناية بخدمة المصلحة العامة ، وبالتعليم الخلقى والدينى . وهناك نحو ٦٠ مدرسة من مدارس خاصة غير السالفة الذكر . وقد كثر الاقبال عليها من منتصف القرن التاسع عشر للأسباب الآتية :

(١) شدة عنايتها بالتربية الخلقية .

(٢) اتساع الامبراطورية البريطانية ، واحتياج الانجليز الذين يعيشون خارج انجلترا إلى مثل تلك المدارس كي يتعلم فيها أبناءهم .
(٣) شعور الطبقة الراقية من الأمة بالحاجة إلى نوع أرقى من مدارس الأجرومية التي كانت متأخرة حتى سنة ١٨٧٠ .

(٤) إنشاء السكك الحديدية ، وسهولة السفر والمواصلات .

(٥) ازدياد الثروة ، وكثرة الأغنياء الذين يستطيعون القيام بمصروفات هذه المدارس .

(٦) ولع الطبقة الوسطى بتقليد طبقة الأشراف في تعليم أبنائهم بذلك النوع من المدارس حباً في الظهور .

وهذه المدارس داخلية عادة ، ويسمح للتلاميذ الذين تقرب مساكنهم من المدرسة بأن يقبلوا نصف داخلية . وهم يلتحقون بها وعمرهم بين ٩ سنوات و ١٣ سنة ، وذلك بعض قضاء أربع سنوات في المدارس الاعدادية الخاصة التي يتعلمون فيها مبادئ اللغات الأجنبية ، ومبادئ الرياضة والعلوم .

والمصروفات المدرسية بامطة يشكو منها الأغنياء أنفسهم . وكانت قبل سنة ١٩١٨ بين ٨٠ جنيهها و ١٠٠ جنيه في السنة للداخلية . أما اليوم فتحو ٢٠٠ جنيه في السنة . أضف الى ذلك ما يحتاج اليه التلميذ من ثمن كتب و ثمن ملابس تناسب تقاليد المدرسة ، و ثمن أدوات وصور لتزيين حجرته الخاصة . الخ . وكثيراً ما تجد التلميذ (الأمير أو اللورد)

يفخر بأن أباه وعمه وجده كانوا في نفس المدرسة ، وبمنزل كذا من المدرسة ، وبالحجرة رقم كذا . .

وينقسم الجزء الداخلي من المدرسة إلى منازل ، وكل منزل له أستاذ يرأسه ، ويديره ويتولى شؤونه ، ويسكن جانباً منه مع أسرته . وصلته كبيرة بكل تلميذ ، كصلة الأب بالابن ، ويشعر التلميذ شعوراً مملوءاً بالفخر والاخلاص للمدرسة أولاً ، والمنزل الذي ينتمون إليه ثانياً . ولهذا المدارس أثر ظاهر في الوسط الانجليزي . ومنهجها كمنهج المدارس الثانوية والنجاح في امتحان القبول شرط من شروط الالتحاق بالمدرسة

ويبلغ مرتب الناظر في بعض مدارس الخاصة الآلاف من الجنيهات في السنة ، فهو يتسلم مرتباً أكبر من مرتب رئيس جمهورية الولايات المتحدة بأمريكا . أما مرتب الوكيل فمئات من الجنيهات ليس غير . ولا مبرر لهذا الفرق الكبير بين مرتب الناظر وبين مرتب الوكيل . ويختار النظار والأساتذة من الطبقة الخاصة ممن تعلموا في تلك المدارس ، واعتادوا نظمها وتقاليدها ، ثم أتموا دراستهم في أكسفورد أو كمبريدج .

آراء بعض الفلاسفة والمربين في مدارس الخاصة :

يرى الفيلسوف (برتراند رسل) أن من عيوب هذه المدارس الثانوية أنها (ارسقراطية) ، للخاصة . الغرض منها تربية رجال ليحكموا وتكون لهم القوة والسيطرة في إنجلترا وفي خارجها . فهي تعمل على أن يكون الطالب فيها مثلاً في النشاط والشجاعة والصحة ، وعدم التأثر ، والاستبداد ، والثبات على المبدأ ؛ والاستقامة بحيث يستطيع القيام بأمر هام في هذا العالم . وفي سبيل الحصول على هذه الأغراض قد ضحى العقل والتفكير ، لأنهما يؤديان إلى الشك أو التردد ، والشك أو التردد عقبة في سبيل الارادة الحديدية المنفذة . ثم ضحيت العاطفة والمشاركة

الوجدانية ، وأهمل الخيال ، في سبيل الثبات وعدم التحول عن الرأي .
فمدارس الخاصة سائرة على النظام الاسبرطي بما فيه من حسنات ومثالب .
ويعتقد (اللورد ريسل) أن العالم الحديث في حاجة كبيرة إلى الذكاء ، وإلى
نوع خيالي من الشبان الذين يشاركون الناس في مسراتهم وأحزانهم ،
وإلى نوع أكثر مرونة من الناحية العقلية بحيث يكون على استعداد للأخذ
والعطاء . ولا يعتقد ريسل كثيراً في القوة الحيوانية ، ولكنه يعتقد كثيراً
في المهارة الفنية والصناعية .

ويرى « مستر جراهام جرين » وغيره من المربين أن نظام الطبقات
ظاهر في تلك المدارس ، وانباء الفقراء الذين يفوزون - بمجدهم
وذكائهم - بمجانبة الحكومة في مدارس الخاصة بعد الانتهاء من الدراسة
الأولية ينظر اليهم نظرة احتقار ويهزأ من نطقهم ولغتهم . والحق أن أبناء
الأشراف لا يشعرون بأنهم من طبقة ؛ وإن غيرهم من طبقة أخرى ،
ولا يدركون أن هناك فرقاً بين الطبقتين . ولكن أساتذتهم المحبين للظهور
ووسائل التظاهر ، هم الذين بثوا في نفوسهم هذه الروح ، روح التفرقة ؛
فإن كان هناك لوم فالجدير به هؤلاء الأساتذة

والحق أن مثالب هذه المدارس ليست شيئاً يذكر بجانب محاسنها

محمد عطية الأبراشي

المفتش بوزارة المعارف

الأدب الأجنبية

نظرات في القصص المسرحية عند قدماء الإغريق

قصة بروميتي مغلولاً Prométhée Enchaîné

للشاعر إيسكولوس^(١) Eschyle

بقلم الدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ الأدب المسرحي بقاعة المحاضرات التمثيلية

ترجمة لأشخاص الأساطير الذين ورد ذكرهم في هذه القصة

قد ورد في هذه القصة ذكر لكثير من آلهة اليونان ، ولذلك لم نر
بدأ قبل الكلام عنها من أن نترجم بإيجاز هؤلاء الآلهة كما صورتهم
الأساطير الإغريقية ، حتى لا نضطر إلى تقطيعها بالتعليق على أشخاصها
— وهام أولاء : —

١ — السماء والأرض (إيرانوس وجوا) . — تروى الأساطير

(١) هو إيسكولوس بن أوفوريون ولد بمدينة إيلوزيس بقرب أثينا حوالي سنة
٥٢٥ ق م . نغ نبوغا كبيرا في القصص (التراجيدى) أى قصص المأساة حتى عدوه
المخترع له ودعوه « أبا التراجيديا » . وفي الحق إن التراجيديا قد ظهرت عند اليونان
قبل إيسكولوس ، فقد ألف فيها واشتغل بتمثيلها من قبله بضع شعراء من أشهرهم
إيجين وتيسيس . ولكن لإيسكولوس يرجع الفضل في تنقيح هذا النوع من التمثيل
وتهذيبه وإعطائه شكله الحقيقي وصورته الأخيرة . — وقد كتب أكثر من ثمانين
قصة تراجيدية مثل معظمها بأثينا وبعضها بصقلية ؛ غير أنه لم يصلنا منها إلا سبع قصص
منها القصة التي سندرستها في هذا المقال .

اليونانية أن السماء والأرض هما أصل الآلهة ، وأن الذكر منهما وهو ايرانوس (السماء) اقترن بالأنثى وهى الأرض فجاء منهما الجبارون أو التيتانيون .

٢ - الجبارون أو التيتانيون . - هم الأولاد المباشرون للسماء والأرض ، ومنهم تكونت الأسرة الاولى للآلهة ، ومن أشهرهم ساتورن وسيل وجاني والمحيط .

٣ - المحيط . - هو ابن الأرض والسماء وأبو العذارى (اللاتى ستكلم عنهن تحت رقم ١٦) .

٤ - جاني . هو ابن الأرض والسماء وأبو بروميتى موضوع قصتنا .

٥ - سيل أوربا . - بنت الأرض والسماء وزوج ساتورن وأخته .

٦ - ساتورن أو كرونوس (أى زحل) . ابن الأرض والسماء ورئيس الأسرة الاولى من الآلهة . تروى الأساطير أنه قد أوحى إليه أن أبناءه سيفتكون به فأخذ على نفسه أن يأكل كل مولود يولد له ، وقد وفى بعهدده ، ولم ينج من محالبه إلا ابنه جوييتير فإن أمه سيل قد خدعت زوجها فأوت إلى جزيرة كريد وولدتها بها وعادت إلى السماء بحجر ملفوف بلفائف ظنه ساتورن المولود الجديد فالتهمه . ولما بلغ جوييتير أشده استطاع بمهارته أن يأخذ بمجامع قلب أبيه وأن ينسبه الحيلة التى أنجته أمه بوساطتها . ثم رغب أن يكون معزاً بأخوة فحمل أباه على أن يتناول شرباً خرج من جوفه على إثر تناوله إياه ما كان قد التهمه من حجارة وأطفال . - ومن غريب ما ترويه الأساطير عن ساتورن هذا أن قد راعه كثرة أولاد أبيه السماء ، فأزمع أن يضع حداً لنسله فراقبه وهو يقارب أمه الأرض وقطع خصيتيه وقذف بهما فى البحر فتنجت منهما فينيس أو أفروديت (أى الزهرة) إلهة الجمال التى كان من أبناءها كيويدي إله الحب .

٧ - جوييتير أوزوس (أى المشتري) . - أصغر أولاد ساتورن ورئيس الأسرة الثانية من الآلهة وأشهر آلهة اليونان على الإطلاق . - تروى الأساطير أنه بمساعدة أخويه نبتون وهادس اللذين خرجا من جوف أبيهما ساتورن بعد تناوله الشراب السابق ذكره وبمساعدة ابن عمه بروميتى (موضوع قصتنا) قد تمكن من خلع أبيه ساتورن وطرد أفراد الأسرة الأولى جميعا من السماء، وأنه قد تولى العرش من بعدهم وقسم الملك بينه وبين أخويه فجعل نبتون إله البحر وهادس إله الجحيم والموت ، واحتفظ لنفسه بالرياسة وبالسيطرة على الأرض والسماء والأشرف على ظواهرهما من زلازل وبراكين وصواعق وبرق ورعد وأمطار . وبذلك ابتدأ عهد الأسرة الثانية من الآلهة . ولم يتم ذلك لجوييتير إلا بعد حرب ضروس كان آخر موقعة فيها أن حاول الجبارون بعد إخراجهم من السماء أن يرقوا إليها ويستعيدوا عروشهم فجمعوا مافى الكرة الأرضية من جبال وكدسوها بعضها فوق بعض واتخذوا منها سلما يبلغون به أسباب الطباقي ؛ ولكن جوييتير قد أرسل عليهم صاعقة دكت صروحهم فتناثرت كائناتها عن منفوش .

٨ - جينون أو هيرا . - بنت ساتورن وزوج جوييتير وأخته وإلهة الزواج .

٩ - بليتون أو هادس . - ابن ساتورن وأخو جوييتير وإله الجحيم والموت .

١٠ - نبتون . - ابن ساتورن وأخو جوييتير وإله البحار .

١١ - القوة والقسر . - إلهان اثنيان اتخذهما جوييتير وزيرين .

١٢ - ثولكان أو هيفيستوس . - ابن جوييتير من زوجه هيرا ،

ولد مشوها دميم الخلق فكبرته أمه هيرا وقذفت به من السماء فهو إلى

جزيرة لينوس وانثنت قدماه فنشأ أعرج . وقد ترك سقوطه منخفضات مجاورة لبزكان إتنا ، وفي هذه المنخفضات أنشأ مصانع حدادة كان يقوم فيها بإعداد ما يحتاج إليه والده جوييتير من حديد وصواعق ، وكان يساعده في هذا ويعمل بين يديه طائفة من أنصاف الآلهة يدعون بالسيكلوب (عمالقة الأجسام مشوهو الخلق لم يكن لكل منهم إلا عين واحدة وسط جبهته) . — ومن الغريب أن فولكان هذا ، على ما به من دمامة في الخلق ، كان زوجا للزهرة إلهة الجمال .

١٣ — ميركير أو هرمس (أى عطارذ) . — ابن جوييتير ورسوله إلى الآلهة والخلق ورسول الآلهة جميعاً ، وإله الخطابة والتجارة والصوص .
١٤ — أتينا أو مينيرف . — بنت جوييتير ، وهى إلهة الحكمة والفنون . — تروى الأساطير أنها خرجت من مخ جوييتير . وذلك أن جوييتير عند مقارب ميتيس الحكيمة خشى أن يرزق منها بولد يفوقه حكمة فعن له أن يفترسها ، غير أنه لم يلبث أن مسه ألم شديد فى مخه فتداركه ابنه فولكان (رقم ١٢) وشج رأسه بقضيب من الحديد ، فإذا أتينا تخرج من مخه امرأة كاملة شاكية السلاح .

١٥ — هيركول أو هيراكليس . — ابن جوييتير جاء به من الكمين (رقم ١٧) وقد حقدت عليه هيرا زوج أبيه فأغرت به ثعبانين كبيرين ، ولكنه تمكن من قتلهما وهو لا يزال فى المهد صديا . — وهو إله القوة ، وينسب إليه القيام باثنى عشر عملا عجز عن القيام بها كثير من الآلهة قبله .

١٦ — النيمف أى العذارى . — بنات المحيط (رقم ٣) وحفيداته وهن آلهة إناث للبحار والأنهار والعيون والآبار والغابات والجبال ، والطائفة الأولى منهن وهى نيمف البحار يطلق على أفرادها اسم « الاوسيانيد » أى البحريات أو المحيطيات .

١٧ - الكمين . - إحدى النيمف وخليفة جوبيتير وأم هيركول

(رقم ١٥)

١٨ - يو . - إحدى النيمف ، وهي بنت ايناكوس (وايناكوس هو نهر بمقاطعة أرجوليد الواقعة في الشمال الشرقي من بلاد البيلوبونيز) . تروى الأساطير أن الالهة جينون أو هيرا (رقم ٨) زوج جوبيتير قد اتخذتها كاهنة في معبدها ، وأن جوبيتير كلف بها وأخذ يتردد عليها في شكل سحابة ويتصل بها . فلما علمت بذلك زوجته هيرا عملت على أن تحول بينه وبينها فمسختها عجلة لتضلل زوجها ، غير أن هذا المسخ لم يثنه عن متابعتها ، فاستحال إلى ثور واستطاع بهذه الحيلة أن يتصل بها . ولم تخف حيلته هذه على هيرا ، فأقامت على العجلة حارساً يقظاً يدعى أرجوس (نصف إله تروى الأساطير أن قد كان له مائة عين إذا ما نام لم يغمض منها الا خمسين) . ولما علم بذلك جوبيتير أرسل ابنه هرمس (رقم ١٣) ليقول هذا الحارس . فأخذ هرمس يعزف على قيثارته حتى نام أرجوس نوماً عميقاً أغمضت فيه عيونه جميعها فقتله وخلص يو . غير أن هيرا أبت إلا أن تحول بينها وبين زوجها فأغرقت بها قنقة (ذبابة تركب الابل والبقر والظباء وما إليها إذا اشتد الحر) ألهمت الوحز لزمتها فأضاعت رشدها وجعلتها تهم بالأرض لا تلوى على شيء ، فما زالت تطوف الآفاق حتى وصلت إلى مصر ، وثمة التقى بها جوبيتير وأعاد لها صورتها الانسانية الأولى وقاربها فجاءت منه ببايفوس الذي كان من نسله ايجيبتوس (وهو ابوالمصريين وأول ملوكهم في نظر الأساطير اليونانية) وأخوه داناووس

١٩ - بروميتي . - ابن جاني (رقم ٤) وابن عم جوبيتير وإله النار وخالق الانسان وحاميه ومؤسس مدينته وهو موضوع قصتنا .

- ٢٠ - أطلس . - أخو بروميتى وابن عم جوييتير انضم لحزب الجبارين رقم (٢) ضد جوييتير ، فحكم عليه جوييتير بعد انتصاره على الجبارين أن يظل الدهر حاملا الكرة الأرضية على عاتقه
- ٢١ - المجمع الأولمبي . - تروى الأساطير أن كبار آلهة الأسرة الثانية كانوا يجتمعون على قمة فى جبال أوليمبيا ، فأطلق على ناديهم هذا اسم المجمع الأولمبي .
- ٢٢ - إيبيميتى . - هو الانسان الأول (آدم الأساطير اليونانية) خلقه بروميتى (رقم ١٩) من الصلصال وزوده بالروح والعقل
- ٢٣ - باندور . - المرأة الأولى (حواء الأساطير اليونانية) خلقها فولكان (رقم ١٢) من الماء والطين ، وزودتها أتينا (رقم ١٤) بالروح والجمال والقوى العاقلة . - وقد أرسلها جوييتير إلى إيبيميتى (رقم ٢٢) بعد أن أعطاها علبة مملآى بالآلام والشروع ، فما لبث إيبيميتى أن اتصل بها وفتح العلبة حتى تطاير منها الآلام والشروع على وجه البسيطة ، فكان هذا مصدر شقاء بنى الانسان .
- ٢٤ - دو كاليون (نوح الأساطير اليونانية) . - هداه بروميتى (رقم ١٩) إلى صنع السفينة التى نجا بها هو وزوجه من الطوفان الذى عم الأرض .

أشخاص القصة الذين ظهروا على المسرح

قد ورد ذكر فى القصة التى نحن بصدد دراستها لجميع الآلهة والأناسى الذين فرغنا من الترجمة لهم . - غير أنه لم يظهر منهم على المسرح فى صورة ممثلين إلا بروميتى (رقم ١٩) وكان البطل الأساسى ، والقوة والقسر

(رقم ١١)، وفولكان (رقم ١٢)، والمحيط (رقم ٣)، ويو (رقم ١٨) وميركور (رقم ١٣).

أشخاص فرقة الغناء

جرت العادة في المسرح اللاتيني الذي مثلت فيه هذه القصة أن تقام في مكان منخفض عن مكان الممثلين مائدة مستطيلة (كان اليونان يسمونها مائدة الآلهة) يجلس حولها أفراد فرقة الغناء، الذين كانوا يحاؤون الممثلين في أثناء التمثيل ويغنون عقب كل فصل بمقطوعات طويلة أو قصيرة حسب ما يقتضيه المقام يعلقون بها على حوادث القصة ويشيرون فيها إلى ما يقع أمام الجمهور.

هذا، وأفراد الفرقة في قصة «بروميتي مغلولاً» التي نحن بصدد دراستها كانوا يمثلون الأوسايد أي البحريات أو المحيطات (انظر رقم ١٦).

أصل القصة :

تروى الأساطير اليونانية أن بروميتي (إله النار وخالق الإنسان وحاميه ومؤسس مدينته - رقم ١٩) كان ولياً حميماً لجوبيتير (رقم ٧) لا يألو جهداً في شد أزره وتقوية دعائم ملكه، أبلى معه بلاء حسناً في الحروب التي أعلنها على الجبارين (رقم ٢) واليه يرجع أكبر فضل في انتصار جوبيتير في هذه الحروب وفي استيلائه على عرش السماء وخلعه لساتورن (رقم ٦). ولكن جوبيتير قد جزاه على ذلك جزاء سئماً، فبعد أن خلع أباه ساتورن وطرده من العالم العلوي واستولى على عرشه قسم الملك بينه وبين أخويه بليتون ونبتون (٩، ١٠)، وأغفل بروميتي

ومخلوقه « الانسان » (رقم ٢٢) ، ولم يكتف بذلك بل أخذ يفكر في الكيد لهما ، فأزعم على اهلاك « الانسان » واستبدال عالم آخر به وواقعه على ذلك اعضاء المجمع الأولمبي (رقم ٢١) . — وحينئذ لم يستطع بروميتي صبراً ، فأعلن معارضته لرئيس الآلهة وأظهر له خطأ رأيه وما يترتب على تنفيذه من وخيم العواقب . وقد كان طبعياً أن يقف بروميتي هذا الموقف ؛ فهو الذى خلق الانسان وسواه ونفخ فيه من روحه ووقف حياته على رقيه والنهوض به . — كبر على جوبيتير ، وقد أذعن لارادته كل آلهة المجمع الأولمبي ، أن ينفرد بروميتي بعصيانه وأن تصل به القمة الى الابراه على خطئه فيما ذهب اليه ، فأخرجه من السماء مذموماً مدحوراً . — ولكن هذا لم يزد بروميتي إلا عناداً فى رأيه ورغبة فى العمل على النهوض بينى الانسان ، موقناً ألا يد لجوبيتير على إهلاكه ، فقد جف قلم القضاء بتسجيله فى عداد الجالدين (على ما بين آلهة الإغريق والبشر من مشابهة ، فقد كانوا يمتازون عنهم بصفة البقاء) ففتح بنى الانسان الأمل وعدل صدرهم وأصلح حواسهم ووهب لهم العقل والتفكير وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون من زراعة ولغة وكتابة وعلوم وفنون وصناعات ، وذلل لهم الحيوانات فمهاركوهم ومنها يأكلون ، ورأى أن النار تعوزهم فاختمسها من السماء وأهداها لهم فأصبحت حظاً مشاعاً بينهم وبين الآلهة بعد أن كانت وقفاً على عالم السماء .

وقد استنارت فعلته الأخيرة هذه نقمة جوبيتير فأوحى إلى وزيريه (القوة والقسر ، انظر رقم ١١) وإلى ابنه فولكان (رقم ١٢) أن يكبلوه بالأغلال وأن يصلبوه فى صخرة من صخور جبال القوقاز فكان ما أراد . وظل بروميتي مغلولاً مصلوباً يتجرع كثوس العذاب فى هذا القفر الموحش بعيداً عن النوع الانسانى الذى أحبه الحب كله وضحى

بكل نفيس لديه في سبيل سعادته . — واتفق يوما أن زل لسانه بنبوءة تتعلق بمصير جوييتير ، فكان هذا سببا في مضاعفة النكاية به . — فقد بعث إليه جوييتير ابنه مركور (رقم ١٣) يسأل عن تفاصيل هذه النبوءة ، فأحجم عن التصريح بأى بيان رغم ما هدد به ، فأرسل عليه جوييتير صاعقة مزقته كل ممزق .

ولكن بروميتى ، وقد كتب له الخلود ، لم تكن الصواعق بمستطاعة إهلا كه . فلم يسع جوييتير إلا أن يفكر فى عذاب يلزمه أبد الآبدين ووكل تنفيذ ذلك إلى ابنه فولكان وإلى نسر من النسور المفترسة . أما فولكان فقد كلف عمل قطع محماة من الحديد يغرسها الفينة بعد الفينة فى جسم بروميتى ؛ وأما النسر فقد كلف أن ينقض على بروميتى فيمزق أحشائه بمخالبه وينهش كبده ، فإذا ما بدل كبدا آخر وأحشاء أخرى عاد إليه ضحى اليوم التالى فكرر فعلته معه وهكذا دواليك مادامت السموات والأرض .

ظل بروميتى يتجرع كهوس هذا العذاب حتى قبض له هيركول (رقم ١٥) فكانت نجاته على يديه .

عهد الشاعر ايسكولوس إلى هذه الأسطورة فجعلها موضوعا لثلاث قصص تمثيلية : أولاها « بروميتى مشعلا النار » تبتدى من الخلاف بين جوييتير وبروميتى وتنتهى حيث يختلس بروميتى النار من السماء ويمنحها بنى الإنسان ؛ وثانيها « بروميتى مغلولا » التى نحن بصدد دراستها ، وتبتدى من صلب بروميتى وتنتهى بارسال الصاعقة عليه ، وثالثها « بروميتى طليقا » وتتعرض للرحلة الأخيرة من قصته . هذا و « بروميتى مغلولا » هى القصة الوحيدة التى وصلتنا كاملة من

هذه القصص الثلاث . أما « بروميتى مشعلا النار » فلم يصلنا إلا اسمها ،
وأما « بروميتى طليقا » فلم يصلنا منها إلا نحو أربعين بيتا رواها الفيلسوف
الرومانى سيسرون فى أحد مؤلفاته .

موضوع القصة

يرفع الستار عن القوة والقسر وفولكان (رقم ١١ ، ١٢) يقودون
بروميتى (رقم ١٩) وقد انتهى بهم الترحال إلى سيتيا حيث جبال القوقاز
ونهاية الكرة الأرضية من الشرق فى نظر قدماء اليونان وقتئذ ، وحيث
الصخرة التى قضى جوبيتير أن يشد عليها بالسلاسل والأغلال وثاق
بروميتى . — تدعو القوة فولكان أن يبادر بتنفيذ حكم أبيه فى ذلك
الآله المتهم الذى باغ به الاستخفاف بالسماء وساكنها أن يختلس منها
النار وأهداها إلى بنى الانسان فأشركهم بذلك فى خواص العالم العلوى ،
وتستحته بقولها له « إنه بانزال العقوبة ببروميتى إنما يثار لشرفه وشرف
أبيه وشرف الآلهة أجمعين » . — وعلى الرغم من أن نفس فولكان
لا تطاوعه على صلب إله تربطه به رابطة القرابة ، لا يرى بدا من القيام
بذلك على كره منه نزولا على إرادة جوبيتير وخشية من بطشه . — وحينئذ
يجرى على المسرح شد وثاق بروميتى بالأغلال واحكام ربطه وصلبه إلى
الصخرة التى كانوا أول المنظر وقفا تحت سفحها .

تنسحب القوة والقسر وفولكان ، ويبقى بروميتى وحده مصلوبا بتفجع
ويتوجع ويذث آلامه التى كتمها أمام أعدائه ليريههم أنه لريب الدهر
لا يتضعضع ، يثبتها قوى الطبيعة : « للهواء الذى يزجى السحاب ، للجبال
المجلملة بالبرد ، للشمس التى ترى كل شئ تحت السماء . للبحار والأنهار
والعيون ، للأرض أم الآلهة والكائنات (رقم ١) » ويشهدها على ما أنزله
به جوبيتير ظلماً وعدواناً .

وإذ ذاك تقبل عليه العذاري (النيمة) المسميات بالاوسيانيد (رقم ١٦) فيذكرن له^(١) أن قد أزججهن في قاع البحار ، صوت مطرقة فولكان ويسألنه بيان الجريمة التي من أجلها أنزل به جوبيتير هذا النكال ، فيقص عليهن قصته ، ويذكر لهن الأيادي البيضاء التي قدمها لجوبيتير ضد الجبارين (رقم ٢) وأنه بفضل مساعدته له تمكن من الانتصار عليهم ومن طرد ساتورن (رقم ٦) ومن الاستيلاء على عرش السماء ، وأن جوبيتير قد جزاه على هذا شر الجزاء ، فحالبث أن استتب له الملك حتى أخذ يكيد له ولأوليائه بنى الانسان فلم يمنحهم نقيراً من الغنيمة التي أفاءت عليه بها حروبه ، وأنه لم يكتف بذلك بل أزمع على إهلاك الانسان واستبدال عالم آخر به ، وأن معارضته لهذه الارادة الحمقاء وعمله على النهوض بنى الانسان هما اللذان قد أثارا عليه غضب جوبيتير وصيراه إلى الحال التي يرينه عليهما - ثم يعدد لهن فضله على بنى الانسان ويذكر لهن أنه هو الذي قد زودهم بالأمل ، وأهدى إليهم النار السماوية التي كانت مصدر سعادتهم ورفقهم ، وعدل صورهم وقومها أحسن تقويم ، وأصلح حواسهم ، وزودهم بالقوى العقلية ، وعلمهم كيف يفرقون بين الشروق والغروب ، ويميزون بين الفصول ، ويتفعلون بقوى الطبيعة في زراعتهم ، وعلمهم الكتابة والأعداد والحساب ، وزودهم بالقدرة على التعبير وبالذاكرة التي لولاها ما قامت للغة الانسان قائمة ، وذل الحيوانات لركوبهم وزينتهم وحمل أثقالهم وحرث أراضيهم ، وهداهم إلى الملاحة وسخر لهم الفلك تجرى في البحر ، وأرشدتهم إلى فن الطب الذي يرجع إليه الفضل في بقاء نوعهم ، وهداهم إلى الكشف عن المعادن

(١) يلاحظ أن الاوسيانيد لم يظهرن على المسرح بل كن ممثلن جنوة الغناء ، فهذا الحوار الذي جرى بين بروميتي والاوسيانيد لم يكن حواراً بين مثاين بل بين ممثل وجوقة

وكيفية استخدامها في مختلف مرافقهم . . .

وهنا يقوم المحيط (رقم ٣) ليعرض على ابن أخيه بروميتي أن يشفع له عند جوبيتير علّه يُشَفَّع فيه فيطلق سراحه ؛ ولكن بروميتي لا يقبل وساطته ويحذره من محاولة التكلم بشأنه مع رئيس الآلهة إشفافا عليه من غدره وبطشه اللذين لا يتردد أن ينزلها بكل من يحاول اعتراض إرادته ، ويضرب له مثلاً بنفسه فإنه لم يصبه ما أصابه إلا من جراء عدم موافقته على أعماله الحمقاء وبأخيه أطلس (رقم ٢٠) الذي قد حاق به مكره من قبل فقتضى عليه أن يظل الدهر حاملاً العالم على عاتقه وبآخرين أصابهم من قبل جوبيتير . . . ويخوفه أن يصيبه مكروه إن أصر على الشفاعة لديه - فيقتنع المحيط بسداد رأيه ويغادره ، فيعود بروميتي إلى الفرقة (التي كانت تتألف كما علمت من أشخاص يمثلون الاوسيانيد رقم ١٦) ليتم لها تعداد أياديه على بنى الانسان ، ويختتم كلامه بأنه يعلم أسراراً خطيرة تتعلق بمصير جوبيتير .

وإذ ذاك تقبل يو (رقم ١٨) فيقص عليها بروميتي آلامه التي تجرعها والتي قدر عليها أن تذوقها في المستقبل والطريقة التي سينجو بها من هذا العذاب وأن الذي سينجيه منه أحد أبناء الكمين (رقم ١٧) ويعنى به هيركول (رقم ١٥) ، ويذكر لها ماسيضيها هي وأن جوبيتير سينفخ فيها من روحه ويولدها ايبافوس . . . ثم يطر جوبيتير وابلا من العناية ويختتم حديثه معها بأن ملك جوبيتير زائل عما قليل وبأن أحد أبنائه سيخلعه عن عرشه

تختفي يو فيتجاوز بروميتي مع الفرقة مكرراً على سمعها ما تنبأ به عن مصير جوبيتير .

وقد سمع جوبيتير كل ما قيل ، فهو الذي يرى العالمين من حيث لا يرونه

ويسمع نجواهم ويدرك ما يحول في نفوسهم ، فأرسل إليه ميركول (رقم ١٣) يستوضحه عما قاله ويطلب إليه أن يبين عن غامض تنبؤاته ويفضى باسم من ذكر أنه سيخلع جوبيتير ويسلبه ملكه ويعدده مقابل ذلك أن يفك أغلاله ويطلق سراحه ويهدده بالصاعقة إن لم يحبه إلى طلبته . - ولكن بروميتي ، في حوار بديع ، يرفض رفضاً باتاً أن يصرح بشيء من ذلك ، غير أنه بوعد مركور ولا حافل بصواعق جوبيتير .

وعندئذ يبرق البرق ، ويقصف الرعد ، وتهوى الصواعق ، فتحطم الصخرة ويختفي بروميتي تحت أنقاضها ويسدل ستار الحتام

شبه هذه القصة بقصة صلب المسيح عليه السلام

تشبه هذه القصة في أكثر من نقطة قصة صلب المسيح عليه السلام وبعثه حسب ما يعتقد المسيحيون وحسب ماورد في الأناجيل ، ولذلك رأى كثير من الملحدن الذين لا يعتقدون في الأديان أن حكاية صلب المسيح وما يتعلق بها مختلفة اختلافاً وأن الحواريين قد اقتبسوها من قصة بروميتي بعد أن حوروها تحويراً يتلاءم مع روح الديانات السامية ، وقد وافقهم على هذا كثير من المؤرخين الذين ينكرون شخصية المسيح عليه السلام - ولكن آباء الكنيسة لا يرون في اتفاق القصتين إلا نوعاً من إرهابات المسيح ، وتبشيراً بمجيء المخلص للعالم ألهمت به الوثنية الإغريقية إلهاما : فبروميتي في نظرهم يمثل المسيح ، وجبال القوقاز تمثل الكالثير (الجبل الذي صلب فيه المسيح) ، و صلب بروميتي في سيل بني الإنسان يمثل صلب المسيح لتكفير الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم إذ أكل من الشجرة ، والاوزيانيد تمثلن القديسات اللاتي بكين المسيح

تحت صليبه وشهدن دفنه ، و حياة بروميتى بعد الصاعقة تمثل نشر المسيح
من قبره وهلم جرا

ويظهر لى أن اتفاق كثير من الأساطير اليونانية مع القصص الواردة
فى الكتب المقدسة (فالواقع أن قصة بروميتى ليست الفذة فى هذا الباب)
لا يمكن تعليله تعليلا مقبولا إلا بأن هذه الأساطير وما يتصل بها من
المعتقدات هى أنقاض دين سماوى وكتاب منزل تقادم عليها العهد فدخلهما
التحريف والتبديل والحذف والزيادة تحت تأثير مقتضيات اجتماعية
خاصة حتى انتهى إلى الشكل الذى نراه فى هذه الاساطير وفى هذه المعتقدات .

على عبد الوامر وفى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب

من جامعة باريس



الاجتباء

المرحوم الشيخ عز العرب بك

بقلم زميله وصديقه

الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار

الأستاذ بدار العلوم سابقاً

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. له الحمد رضا بقضائه وصبراً على بلائه.

نفذ القضاء المحتوم في فرد نابه من أسرة دار العلوم وابن من أبر أنبائها هو المرحوم الشيخ محمد عز العرب بك نقيب أسرة المحامين الشرعيين الأسبق وعضو الوفد المصري وعضو مجلس الشيوخ سابقاً.

وفاه الأجل ليلة أول ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ الموافق ١٢ من يولييه سنة ١٩٣٤ ببلدة الجعفرية ودفن بالقاهرة قرب الامام الشافعي

ولدرحمه الله ببلدة الجعفرية مركز السنطة غربية في ١٠ رجب سنة

١٢٨٧ هـ وحفظ القرآن الكريم ببلده ثم حضر إلى القاهرة في سنة ١٣٠٣ هـ

للاشتغال بطلب العلم بالأزهر الشريف فأخذ في طلب العلم على مذهب

الامام الشافعي أولاً كما اشتغل بعلم النحو وكان من أساتذته الشيخ احمد

زين المرصفي والشيخ مروان والشيخ علي البولاتي والشيخ الأشموني

والشيخ احمد الرفاعي والشيخ محمد البحيري ثم اشتغل بطلب الفقه الحنفي

على المرحوم الشيخ حسونه النواوي

وفي سنة ١٨٩٣ صحت عزيمته على دخول دار العلوم فكان من
الناجحين . وقد أقبل على تلقى العلم بها ومذاكرة دروسه إقبالا عظيما .
وتخرج من المدرسة في سنة ١٨٩٧ وكان من زملائه الذين تخرجوا
معه وكان دخولهم أيضاً معه . الأساتذة الشيخ أحمد إبراهيم بك وكيل كلية
الحقوق الآن وكاتب هذه الأسطر والمرحوم الشيخ عبدالعزيز شاويش بك
والمرحوم الشيخ حسن منصور وكيل دار العلوم سابقا والشيخ حسن
المحروقي والمرحوم الدكتور مرسى محمود . ومن الذين نالوا الشهادة في تلك
السنة المرحومان الشيخ يوسف عفيفي والشيخ سيد محمد الطواجني والشيخ
عبد العليم محروس والشيخ محمد أبو المجد وهو من السابقين الأولين في
التخرج من دار العلوم وكان في ذلك الوقت موظفاً .

عين الشيخ محمد عز العرب بك والشيخ حسن منصور في وظيفة
التدريس بالمدرسة السنية للبنات وكان مدرسا بها قبلهما صاحب العزة
حسن صبرى بك وزير المالية الآن وكانت ميولهم متفقة وانعقدت أواصر
الصحبة بينهم وقد أظهر الشيخان حسن منصور وعز العرب كفاءة
عظيمة أدت إلى إعجاب أستاذنا المرحوم الشيخ محمد شريف سليم بك
بهما وهذا الإعجاب دفع به إلى طالب إعطائهما وأمثالهما علاوة قبل
أوانها تشجيعا لهم وحفزا لغيرهم على العمل النافع فلم ياق ذلك من دنلوب
أذنا مصغية بل لقي الشيخ عتابا على هذا الطالب الذى يفتح على نظارة
المعارف بابا واسعا .

كان الشيخان عز العرب وحسن منصور لا يألوان جهدا في إشاعة
الفضيلة بين فتيات المدرسة السنية فيحسنان لهم استتار الكبريات
ومواظبتهم على إقامة الصلاة فائز ذلك في أنفس الطالبات وفي ذات يوم
أصبحن في الفصول بالطرح البيضاء فراع الناظرة الانجليزية ذلك الأمر

وسألت عن أصل هذه الفكرة فعلمت أنها للشيخ حسن منصور والشيخ محمد عز العرب فأ كنت ذلك في نفسها . وأوعزت إلى من بيدهم الأمر في الديوان أن يفرقوا بينهما وإن ينقلوهما من عندها ، فكان لها ما أرادت شق ذلك على الشيخين فاتفقا مع صاحب العزة حسن بك صبرى وكان في ذلك الوقت قد استعفى من نظارة مدرسة محمد علي وعين مراقبا لمدرسة خليل أغا مع التدريس في الأزهر على أن يقدم استعفاءهما من نظارة المعارف . والشيخ حسن منصور يعين مدرسا بمدرسة خليل أغا والشيخ محمد عز العرب يعين مدرسا بمدرسة والدته عباس الأول التي يلي الرقابة عليها محمد علي دلاور بك

قضى الأمر وكان على حسب الاتفاق ثم تقرر كل من الشيخين في المحاماة الشرعية وكان الشيخ عز العرب بك يشتغل بمدرسة أم عباس وبالمحاماة في مكتب حسن صبرى بك وكان ذلك في سنة ١٩٠٠

وفي سنة ١٩٠١ جاءت إلى الشيخ محمد عز العرب بك قضية في الخرطوم من بلاد السودان فترك وظيفة التدريس في أم عباس وسافر للمرافعة في تلك القضية . وصادف ذلك أيام سفر الخديوى الأسبق إلى السودان . فأقام بالخرطوم ماشاء الله أن يقيم وعاد إلى مصر مواصلا عمله في مكتب سعادة حسن صبرى بك

لم يطل الأمر حتى جاءت سنة ١٩٠٤ وحدثت فيها مسألة زواج المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد من السيدة صفية السادات وعملت الدسائس والفتن عملها ورفعت الدعوى بطلب التفريق بينهما وكان يتولى الدفاع عن الشيخ على يوسف حسن صبرى بك وعن السيدة صفية الشيخ محمد عز العرب . وكانت النتيجة ضد الزوجين . ولكن الشيخ محمد عز العرب طار له صيت وعرف بأنه من الأكفاء للقضايا الكبيرة .

كرت أيام وأعوام قليلة واشتغل الشيخ محمد عز العرب بمكتب خاص لحسابه . وفي سنة ١٩١٢ خلا مكان المرحوم محمد بك الرمالى فى الجمعية العمومية فرشح الشيخ محمد عز العرب نفسه وفاز فى الانتخاب على منافسه المرحوم الشيخ احمد الصفنى شيخ المسجد الزينى فى المندوبية عن قسم السيدة زينب وفى سنة ١٩١٣ منح الرتبة الثانية وفى تلك السنة أدى فريضة الحج وعاد والاستعداد للانتخاب للجمعية التشريعية قائم على قدم وساق وكان فى أول الأمر يريد ترشيح نفسه منافسا للمرحوم سعد زغلول باشا . وكان لذلك اجتماع فى بيت المرحوم محمود بك عارف قبالة مسجد كعب الأحبار بالناصرية . وقد خطبت فى هذا الاجتماع بعد خطبة المرحوم محمد بك عز العرب وقلت له أنك أعز الناس على وآثرهم عندى . ولكن عند الانتخاب أعد الصداقة شيئا والانتخاب شيئا آخر والانسان يطلب لعلته أمهر الأطباء لا الصقهم به وأحبهم إلى نفسه .

ولقد جاءنى أولاده وهم معادلون لأولادى وقالوا كنا نود أن تؤيد ترشيح أخيك وصديقك والدنا فقلت لهم . أنى أرى ما لا ترون . ذلك أن الأمر سيدور بين والدكم وسعد باشا وثالث . والأصوات التى سىأخذها والدكم إنما تنقص من أصوات سعد باشا فإذا نجح ذلك الثالث كان ذلك هجنة على والدكم وعلى سعد باشا معا واثبتنا على أنفسنا أننا لا نفرق بين الغث والسمين - فأتيتوا إلى أن والدكم هو الذى يأخذ أغلبية الأصوات وأنا أول من يخطب فى مصلحته فاقنعوا واقنع صديقى وذهبنا فى الحال إلى بيت البربرى بمصر القديمة وهم يحطبون فى جبل سعد باشا وكان هناك الباشا . فقال له محمد بك عز العرب إني أريد أن أشرح نفسى فى مقابلتك لئلا يقال أن سعد باشا كان فى دائرة ليس بها أكفاء يرشحون أنفسهم فى مقابلته . فقال له ليس هذا بصواب لأنك لا تضمن أن الثالث لا يحصل

على الأغلبية على وعليك فتأكد له صدق نظريتي وعمل هو وأولاده على جمع الأصوات لسعد باشا فكان الفائز . وهذا أول عهد سعد باشا بالمجالس النيابية .

جاءت حوادث سنة ١٩١٩ فكان بيت المرحوم محمد بك عز العرب مثابة للناس ومجتمعاً لرجال النهضة الوطنية من محامين وطلاب وغيرهم . وقد أبلى رحمه الله تعالى بلاء حسناً في النهضة السياسية فقد انتخب عضواً بمجلس الشيوخ عن دائرة السيدة زينب وظل يحدد انتخابه إلى أن عدل الدستور وحل المجلسان السابقان . ثم انتخب عضواً في الوفد المصري في أواخر سنة ١٩٣٢

وأما أيام نقابته للحاماة الشرعية فقد كان مثلاً أعلى للاعتدال والعطف على أبناء طائفته . وكان يجتهد في فض المشاكل بالحسنى ويذهب إلى البلاد التي فيها المشكلة ويجتهد في إنهاء الأمر على ما يحفظ كرامة الحاماة فلم يحكم في زمنه على محام أصلاً .

كان المجهود الحازم الذي بذله في أعماله في الحاماة وفي الوفد يهدم قوته التي لم ينال المرض عنها وهو يصابر ذلك إلى أن وفاه الأجل المحتوم في ١٢ يولييه سنة ١٩٣٤ أما عطفه على أقاربه وسده كل خلل من أحوالهم فيذكر له بالشكر ولئن فاتنا بموته النظر إلى شخصه فقد ترك لنا مثلاً عالياً من أخلاقه ومواهبه في أشخاص أبنائه الأساتذة أمين عز العرب النائب نقسم قضايا المالية والباشمهندس عبد العزيز عز العرب بالبلديات بالداخلية والدكتور محمود عز العرب الطبيب بالابراهيمية رحم الله الفقيد رحمة واسعة وألهم آل الصبر والسلوان وعزى أسرة دار العلوم التي كانت ترى فيه أخاً وفيها باراً م

بريد الصحيفة

إليها ...

جاءتنا قصيدة رائعة بقلم الشاعر المطبوع عبد العزيز عتيق افندى
المدرس بميت غمر مطلعها :

أنأئمة أنت أم ساهره وناسية أنت أم ذاكره
وفيها يقول :

تعالى فقلبي لقلب الجديب يحن إلى الديمة الماطره
تعالى فنفسى برغم الهدوء عليك غدت أبدا طائره
تعالى نرتل نشيد السماء ونصغى لنغمته الساحره
تعالى نهم فوق وشى الرياض ونهفو مع النسمة العابره
تعالى نعش كحفاف الطيور من الشط للروضة العامره

ألا ليتنى فى الروض أصبح طائرا !

وأرسل إلينا احمد الحسينى أبو الروس افندى قصيدة جميلة مطلعها :
هزار الربا ، ما تقفأ العمر ساجعا تغنى طروبيا فى الرياض ممتعا
إذا لاح نور الصبح قمت تزفه وإن هف الشادى أجبت مرجعا
وفيها يقول :

أوحذك أدركت الحياة وسرها فكانت كما أملت ملهى ومرتها
فما لبني الانسان بالعقل لم يروا شعاعا إلى نور الحياة ومهبعا
أكانت لنا تلك العقول مضلة نهم بها حتى نغر ونخدعا ؟

ألا غنى يا طير فالقلب موجد وصوتك قد يشفى الحزين الموحجا
فقد ضاق ذرعا بالأنام وكيدهم فوادی حتى كاد أن يتصدعا
ألا ليتنى فى الروض أصبح طائرا فنغدو معا يا طير فيه سواجعا



تحية جماعة دار العلوم

وهذه كلمة إخلاص وتهنئة من الأستاذ عبد العزيز بدر المدرس
بمدرسة دمهور الثانوية بعث بها إلينا محيا « جماعة دار العلوم » وفيها :
نشأتم بدار العلوم فكنتم مصاييح نور تضىء الظلام
وردتكم بها العلم صفوا نيرا وأصدرتموه هدى للأنام



شبهة نحوية

وجاءنا من الكاتب النابه الأستاذ محمد سمك المدرس بالمدارس الأميرية
بحث طريف فى « جواز الرفع لجواب الشرط » يدل على اطلاع وتدقيق
ولولا ازدهام المواد فى الصحيفة لنشرناه تقديرا له واعترافا بفضل كاتبه .



مجمع العلماء فى فرنسا

وبعث إلينا الأستاذ عثمان ابراهيم شاهين مدرس اللغة العربية بمدرسة
التجارة المتوسطة بالجيزة مقالا شائقا عن مجمع العلماء بفرنسا ، قال فى أوله :
قرأنا فى العدد الاول من صحيفتنا الغراء مقالا ممتازا لحضرة زميلنا الفاضل
الأستاذ مصطفى السقا عن مجمع اللغة العربية الملكى . وهأنذا أنقل لقراء الصحيفة
مختصرا عن مجمع العلماء فى فرنسا مترجما عن كتاب تاريخ آداب اللغة الفرنسية
« Histoire de la Littérature Française » ونحن نعتذر لحضرة الكاتب
ولحضرات القراء بسبب ضيق النطاق فى الصحيفة .

المكتبة العربية

لقد كان الصيف الماضى على مافيه من هجير لافح ، وما ورثه من
تركة العام الدراسى المثقلة بالاجهاد ، مصدر ثروة علمية وأدبية ظهرت لنا
فى عدة كتب من أقلام بعض الأساتذة الأجلاء ويسرنا أن نعلن أن عددا
كثيرا من هذه المؤلفات القيمة كان ثمرة لقرائح بعض زملائنا فى لجنة
« صحيفة دار العلوم »

وسنذكر كلمة مجلى عن بعض هذه المطبوعات

١

هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام

ألفه الشيخ يوسف البديعى قاضى الموصل المتوفى سنة ١٠٧٣ هجرية
ونشره بعد شرحه ، وتحليله ، وتقده ، وضبط شعره صديقنا وزميلنا
الأستاذ محمود مصطفى ، أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية بالجامعة
الأزهرية ، وعضو لجنة الحقيقة .

وفضل الأستاذ فى نشر هذا المخطوط القيم من كنوز « دار الكتب
المصرية » على الصورة التى حرره عليها إنما يقدره كل محب للأدب . ولقد
يدرك مبلغ ما عانى الأستاذ من جهد وعناء من له إلمام بمجهود
« المستشرقين » فى نشر المخطوطات العربية ومضاهاة عباراتها وتحريرها
والتعليق عليها .

وأغلب ظننا أن العنوانات الجزئية التى فى الكتاب من وضع صديقنا
المحرر لأن فكرة التجزئ فى العنوان فكرة حديثة لانعتقد أن المؤلف
كان قد أدركها .

ويقول المحرر في طريقة الكتاب (ص ٣) : « ورايت أن طريقته في كتابه (الصبح المنبى عن حثية المنبى ، وهبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام) هى الطريقة المثلى فى دراسة الأدب القديم التى ينتقل بها القارىء بين أفنان القول ، ويستجلى من أنوار الأدب ما اختلفت ألوانه ، ويتشمم من عيره ما تنافست فى الطيب نفحاته ، فهو ينتقل بالقارىء من خبر مستطرف ، إلى معنى مستظرف ، إلى فكاهة بارعة ، إلى حكمة رائعة . وهذا سر فى ذلك الأدب جعله حبيبا إلى النفس ، غير مملول الدرس . »

ونحن ، مع اعترافنا بأن هذا الضرب من الأدب ، وذلك الأسلوب من التأليف ، قد أديا رسالتهما خير أداء ، فى عصر كانا فيه المثل الأعلى للأنتاج العقلى — لانستطيع أن نقبلهما فى الأدب الحديث . ولعلنا فى حل من التشكك قليلا فى دعوى الأستاذ (ص ٤) من أن هذه الطريقة فى رأى علماء التربية ، خير الطرق فى ثبات المعلومات فى الذهن وأدعاها إلى امتزاجها بالنفس . وفى رأينا أن هذه الطريقة قد تكون من الطرق التى تروح عن النفس ، وتسهل على المرء — أحيانا — القراءة السريعة ؛ ولكنها من غير شك ليست الطريقة المستقيمة للدرس المنظم المثمر . فان قوانين الترابط أو « تداعى المعانى » تلزمنا بارجع الأفكار إلى صورة منسقة منتظمة ذات مقدمات ونتائج يأخذ بعضها ببعض ، بحيث تؤلف وحدة متشاكلة يستدعى بعضها بعضا ، فيسهل استيعابها ، ويسهل تبعال ذلك وعيها وذكرها .

وبعد فانتا لا تريد من هذا انتقااص الأستاذ فى مجهوده العظيم ، فانه لم يؤلف على تلك الطريقة — وحاشاه أن يفعل ذلك اليوم ؛ وله من المؤلفات ما يدل على أنه أبو التجديد وفاهم سره — ولكنه نشر كتاباً قديماً فأضاف ثروة إلى الأدب العريق . ونحن ندلى برأينا فى الطريقة

في ذاتها ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن نرحب ، وأن نطالب ، بنشر أدبنا المأثور ، ما كان منه على غرار هذه الطريقة وما كان مخالفاً لها .

وحسبنا في التدليل على ميل صديقنا الأستاذ محمود مصطفى إلى الفكرة المنظمة ، والبحث المستكمل ، ما وضعه في آخر هذا الكتاب من الفهارس التي تسهل على المطالع جمع الموضوع الواحد في يسر وزمن قصير . فقد وضع فهرساً لموضوعات الكتاب ، وآخر للتراجم الواردة فيه ، وثالثاً للمسائل العلمية والأدبية الواردة في تعليقاته على الكتاب ، ثم ختم بفهرس رابع لشعر أبي تمام .

ومن النقط التي لا يفوت القارئ ملاحظتها اختلاف العصور في الذوق الأدبي ، وفي الحاجة إلى الشرح اللغوي . فبينما كان المؤلف يعلق على بعض الآيات شارحاً ، غمض منها على قرائه ، نرى محررنا الفاضل لا يكتفي لقرائه المحدثين بذلك القدر من الشرح ، بل يضيف إليه أحيانا أضعافه .

ويرجع ذلك ، في رأيي ، إلى سببين : أولهما اختلاف الثقافة اللغوية في عصر عنها في عصر آخر . وثانيهما أن الكتاب القدامى كانوا يشرحون لأهل الأدب أو للخاصة الذين كانوا هم وحدهم ، أو يكادون يكونون وحدهم قراءهم . أما نحن الآن فنشرح في الغالب لقراء أوسع دائرة من أولئك ، فان قراءة الكتب ليست وفقاً على الخاصة من أهل الأدب ، وإنما نشرح للشاذين والمتأدبين ، تشجيعاً لهم على القراءة . وتسديداً لخطاهم في فهم الأدب وتعبيداً للطريق أمامهم .

وأرجو أن يسمح لي زميلي بملاحظة على ما كتبه في هامش ص ١٢٦ تعليقا على قول أبي تمام

هن عوادي يوسف وصواحيه فعزما فقدما أدرك النجح طالبه

فهو يرى أن هذه الرواية « هن » خاطئة، وأن الوزن لا يستقيم إلا مع الهمزة « أهـ » ولذلك أثبتنا في المتن . ولكنني أعتقد أن الرواية هي بدون همزة الاستفهام وأن في البيت « الحرم » وهو حذف الحرف الأول من « فعزلن » وهو كثير في أول قصائد الطويل . ولعل بيت أبي تمام من الأبيات التي يستشهد بها عادة على هذا الضرب من الضرورات الشعرية .

ولعل من المصادفات الغريبة أن يحقق الأستاذ محمود مصطفى أمنية المؤلف في كتابه بعد نحو ثلاثة قرون : فقد كتب « البديعي » في مقدمة كتابه هذا (ص ٨) : « دار في خلدي أن أدون كتاباً لا تخلق الدهور جدته ، ولا تذهب الاعادة بهجته ، يسير في الآفاق سير الأمثال ، ويصير شفا لسمع الأيام وعقد الجيد الليال . » وقد نسى الدهر ، أو كاد ، ذلك الكتاب قرابة ثلثمائة سنة حتى قبض الله له صديقنا محمود مصطفى فأذاعه في العالم العربي إذاعة تضمن له ما نتمنى مؤلفه .

٢

الرائد

في تاريخ الأدب العربي ونصوصه و متن اللغة

الجزء الأول للسنة الثالثة الثانوية ، والجزء الثاني للسنة الرابعة الثانوية
أهدى إلينا صديقنا الفاضل الأستاذ عبده زياده عبده ، والأستاذ محمد السيد عامر المدرسان بمدرستي الأوقاف الملكية الثانويتين كتابهما « الرائد » فإذا هو صورة صادقة لما نعرفه في الزميلين من اتساق في الفكر ، وجمال في التعبير . ذلك إلى دقة البحث والافاضة في حدود ما يسمح به المنهج الدراسي ، وحال التلاميذ الذين وضع لهم الكتاب .

وقد أعجبنا من المؤلفين عدم تقيدهما ببعض الآراء التقليدية التي كان بعض المؤلفين يتوارثونها من غير تمحيص . ومن امثلة ذلك ما كان التلاميذ يتلقونه من أن الشعر هو أصل كلام العرب ، ولما عجبنا لذلك الرأي السقيم الذي لا يقبله عقل متزن ، وقد أحسن المؤلفان بما نقلاه عن ابن رشيق في (ص ٥) الجزء الأول من انه « كان الكلام كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلما تم لهم وزنه سموه شعرا . »

وسنا نقضل أن يرويا في (ص ١٦ - الجزء الأول) المثل كما يأتي :

« إذا عز أخوك فهن » فهذه الرواية أفصح وأسلم من النقد لأن هان يهين معناها لان يلين . أما هان يهون فمعناها ذل يذل ، والمطلوب هو اللين للصدق لا الذل والخنوع .

كذلك كننا نتمنى أن يذكرنا تواريخ الوفاة لبعض الأدباء الذين ذكرهم في (ص ٨٤ - الجزء الأول) مثل الشيخ علي يوسف وحفني بك ناصف واحمد فتحى زغلول باشا .

ولعل من أفضل ما نذكره لتلاميذنا من روايات المنفلوطى « في سبيل التاج » - و « الفضيلة » فقد يكون فيهما من الغذاء الأدبي والروحي لهم ما لا يكون في « ماجدولين » فاتنة شباب مصر .

وبعد فانتا نرجو أن يكمل الأستاذان هذه الحلقة من المؤلفات ليخرجا لنا الجزء الثالث ، فيستكمل بحثهما ، ويعم نفعهما .

٣

في التربية

١- ميلنا الفاضل الدكتور علي عبد الواحد وافي المدرس بدار العلوم وعضو لجنة الصحيفة بحوث تدل على سعة اطلاعه وقوة تعبيره

ولعل قراء الصحيفة في غنى عن تقديم الأستاذ إليهم ، بما يقرءون له فيها من البحوث القيمة . وقد أهدى إلينا كتابه « في الترية » وحسبنا في التعريف أن يكون أساتذة الترية بدار العلوم قد أقرؤا دراسة هذا الكتاب في ذلك المعهد الجليل . وربما عدنا إلى هذا الكتاب لنوفيه ما يستحقه من النقد والتقدير .

٤

ما هو الاقتصاد السياسي

وهذا كتاب آخر أهده إلينا الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي . والكتاب كما يدل عليه عنوانه تعريف بمبادئ الاقتصاد السياسي . ويمتاز بدقة ترتيبه ، وروعة أسلوبه .

٥

ابن المقفع

وهذا بحث يقع في ٧٥ صفحة كتبه صديقنا وتلميذنا الأستاذ محمد قاييل خريج دار العلوم وأستاذ اللغة العربية بمدرسة الأقباط الثانوية بيور سعيد . وللمؤلف غرام قديم بالكتابة عن ابن المقفع ونحن نحمد له جهده ونتمنى له المزيد . ولكننا نهمس في أذنه بأن اقتباسه آراء « المستشرقين » يجب أن يكون مترجماً إلى اللغة التي يكتب بها الكتاب ، ولا حرج عليه إن هو وضع النص الأجنبي في هامش الصفحة ، إذا كان يرى لذلك فائدة خاصة .

٦

صحيفة الاقتصاد والتجارة

يصدر هذه الصحيفة نادي التجارة العليا . ولهذه المدرسة وخريجها فضل لا ينكره أحد على البحوث الاقتصادية ، والتجارية .

والمالية . وقد أهدى إلينا النادي العديدين الثاني والثالث من هذه البنية ونحن نشكر للنادي هديته القيمة ، و تتمنى للصحيفة الزميلة ما هي جديرة به من المكانة في العالم العربي .



الأمواج

ديوان شعر بقلم الشاعر السوري البليغ احمد الصافي النجفي ولعل خير ما نعرف به هذا الديوان هو ما كتبه ناظمه في الاهداء :

« إلى المثل العليا التي بها أحياء ، وفي سبيلها أموت

الحقيقة — الحرية — الرحمة

أقدم أمواجي هذه .

وأبواب الديوان جميعها حديثة منتزعة من بيئة الشاعر ، وحياته ، وكثير من القصائد محلى بصور جميلة ، وربما عدنا إلى الادلاء براينا في هذا الديوان .



الانشاء التعليمي

أصدر الأستاذان محمد شفيق معروف ، ومحمد عبد الغني الأشقر ، مند سنوات الطبعة الأولى من كتابهما الانشاء التعليمي ، وقد كان هذا الكتاب بما فيه من ابتكار في الطرائق إضافة جديدة إلى كتب الانشاء التي يتداولها تلاميذ المدارس . وقد أصدرنا أخيرا الطبعة الثانية من الجزء الأول وهي في الحجم في أضعاف الطبعة الأولى مما يدل على ميل إلى التجديد ، وحب إلى الانتفاع بالتجارب . والكتاب من خير ما ينتفع به التلاميذ وما لا يضمن المدرسون على مكنتاتهم باحتوائه .

٩

السيادة العربية

والشيعة والإسرائيليات في عهد بنى أمية

ألف هذا الكتاب العلامة « فان فلوتن » (Van Vloten) وترجمه عن الفرنسية صديقنا وزميلنا الدكتور حسن ابراهيم حسن الأستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، وصديقنا وتلميذنا النابه الأستاذ محمد زكى ابراهيم الحائز لاجازة التاريخ والأخلاق من كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية والمترجم بمصلحة المساحة .

وليست قيمة الكتاب الذى بأيدينا راجعة إلى عظمة مؤلفه « فان فلوتن » فحسب ، بل هى راجعة كذلك إلى المترجمين الفاضلين ، وما لهما من خبرة ودراية بالموضوع المترجم . فالدكتور حسن ابراهيم حسن يعد من كبار المؤرخين الاسلاميين فى مصر ، بماله من الدرجات الرفيعة فى تلك الدراسة وبحكم عمله فى الجامعة المصرية ، وزميله وتلميذه الأستاذ محمد زكى ابراهيم ، شيخ من شيوخ الأزهر الذين تذوقوا الثقافة الأوربية ، وتخصصوا بدراسة التاريخ الاسلامى لذلك كان للتعليقات التى كتبها على الترجمة ، من نقد وتصويب وترجيح لآراء المؤلف قيمة عظيمة فى كشف كثير من الحقائق التى يكتب عنها بعض « المستشرقين » كتابة غامضة أو مغرضة . وقد أحسن المترجمان بوضع الفهرس الأبجدى الألمانى كما وضعه المؤلف ، كما أضافا إليه فهرسا أبجديا عربيا .

١٠

خالد بن الوليد

كان من ثمرة نظام التخصص في الجامعة الأزهرية أن الطلاب المنتهين كلفوا كتابة رسائل في موضوعات مختلفة يتقدمون بها إلى لجان الامتحان النهائي . ولقد كان لبعض الطلاب النابهين ولوع خاص بموضوعات رسائلهم نشأ عنه استيفاء البحث ورزاة التقدير . وقد تمنينا ان يطبع بعض هؤلاء الطلاب رسائلهم بعد تخرجهم ليساهموا بذلك في الحركة العلمية التي تزخر بها البلاد ، وليدلو بذلك على مبلغ ما وصلوا إليه . وقد أهدى إلى صديقي وتلميذي الشيخ أبو زيد شلبي خريج قسم التخصص بالأزهر والمدرس بمعهد أسبوط كتابه خالد بن الوليد وإنه ليسرني أن أنوه بهذا الكتاب وبمؤلفه راجيا له من الذبوع ما يليق بعظمة البطل الفاتح الذي يتحدث عنه .

١١

الأخلاق والتربية الوطنية

تأليف محمد البنداري

كتاب موجز سهل العبارة ، في مقرر المدارس الثانوية ومدارس المعلمين والمعلميات الأولية والمعاهد الدينية . وهو مطبوع طبعا متقنا .

مهدي علم

فهرس العدد

صفحة	الموضوع	بقلم
	من مكتب التحرير	الأستاذ محمد علي مصطفى
	اللغة والأدب	
٤	تهنئة الاخلاص والولا، (قصيدة)	علي الجارم
٩	أسلوب القرآن	عبد الوهاب حموده
١٧	الأدب في نهضتنا الحديثة	محمد هاشم عطية
٢٥	الغد المحجب (قصيدة)	عبد المغني المنشاوي
٢٩	في مرآة الأدب	محمود محمد مصطفى
٣٩	نحية مولود	مهدى علام
٤١	النقد الادبي عند ابن قتيبة	طه احمد ابراهيم
٤٩	في البيئة المنزلية تنهض اللغة العربية	محمد جاد المولى بك
٥٥	خواطر (قصيدة)	فايد العمروسي
٦٥	مر يوم (قصيدة)	سيد قطب
٥٨	الوصف في شعر امرئ القيس	السباعي السباعي يومي
	علوم التربية	
٦٩	طريقة دكرولى	عبد الحميد حسن
٨٩	الرجل والمرأة	حامد عبد القادر
٩٩	قضية الاطفال	زكى المهندس
١٠٨	التعليم الثانوى فى انجلترا	عطيه الابراشى
	الآداب الأحنفية	
١١٦	نظرات فى القصصى المسرحى عند	علي عبد الواحد وافي
	قدما. الاغريق	
	الأخبار	
١٣٠	المرحوم الشيخ عز العرب بك	عبد الوهاب التجار
١٣٥	بريد الصحيفة	مهدى علام
١٣٧	المكتبة العربية	» » »